

## الافتتاحية

### حصاد عام

انصرم عام من تاريخنا الإسلامي الهجري وكان حصاده - في مجمله - نصراً للإسلام والمسلمين . وبداية تشير إلى غروب شمس الباطل ! وانهيار قواه . إن الكثير من المسلمين لا يكادون يرون هذه الحقيقة ، وذلك لأن المصائب التي تواتت على الأجيال ، وتعدد آلام المسلمين الملمة من وقت إلى آخر جعل المسلمين لا يفرحون بما يُفرج ولا يشعرون أنهم حققوا نصراً وأثراً جباراً ، لأن يأسهم قد طال ، وخابت آمالهم ، فلم يعد يحمل الزمن لهم إلا مؤشر الحزن وانعدام الأمل حتى حين يبزغ الفجر الصادق يقولون : لا إنه الفجر الكاذب . أما إنه فجر صادق والله الحمد ، هو فجر للأمة المسلمة ونصر لها . ولم يعد أمر الإسلام أمر أفراد بل أمة كاملة تعيش قضايها وتحيا دينها وقد كان في الماضي أمر قلة واعية داعية معلنة مرة ومستخفية غالباً .

عشرات الملايين من المسلمين في الجمهوريات الإسلامية نالت استقلالها وانكسر جدار الشيوعية الذي سجنت فيه قرابة سبعين عاماً ، وسقط الحكم الشيوعي في أفغانستان ، وتهافت الأنظمة الشيوعية في البلقان ، والتي خنقت مسلمي ألبانيا ويوغسلافيا وبقية الأفليات المسلمة في أوروبا الشرقية نحو نصف قرن من الزمان .

وهذه الأحداث بكل المقاييس انتصارات للشعوب المسلمة وبداية مرحلة جديدة في تاريخ الأمة المسلمة ، يفتح الطريق أمامها لتحديد هويتها ومعرفة انتمائها العقائدي والسياسي ، وإن كانت حالتها الآن تشبه حالة معظم العالم الإسلامي خلاصه من الاستعمار البريطاني والفرنسي والإيطالي حين وجد نفسه مباشرة في مواجهة تقرير مصيره وهو لا يعرف نفسه وكان الكثير من قادة الاستقلال بلا هوية ولا لون تتنازعهم القومية والشيوعية والتبعية الغربية أو الشرقية ، وتجمعهم رأية واحدة هي فقدان الهوية حيث لم يجرؤ أحدthem بأن يقف موقفاً إسلامياً حقاً ويوفر الوقت والجهد من الضياع .

هذا هو الذي تواجهه الشعوب الإسلامية الخارجة من السجن الروسي فهي تذوق طعم الحرية لأول مرة ولكنه مخلوط بحرارة الاختلافات الداخلية والحروب العنصرية وتناقض وجهات الولاء الجغرافي والعقائدي . في جوف هذه الشعوب آلاف العملاء ، وألاف السذج ، وألاف من العنصرين القبليين وألاف من الدعاة المخلصين .

والخارج من السجن الطويل يصعب عليه جداً أن يحيا حياة الناس الطبيعية فهو يذكر داره وينكر أهله ، غريب في وجهه جيرانه وهم غرباء في وجهه ، لم يألف الحرية . لم يعرفها ويتمنى الاستقرار والحياة الرتيبة حتى إن شابهت التي كانت في السجن . لقد خرج من السجن فرحاً خائفاً لأنه يخاف من الخارج الغريب عليه والذي لم يسبق أن تعامل معه ولا يدرك معنى واضحاً لحياته اليومية ولا لعلاقاته الشخصية . لهذا تتملك الحدة هذه الشعوب ويغلب عليها الخوف من الغريب وتضعف ثقتها في الدور الذي يمكن لها ممارسته .

وهذا القول يقع على القيادات التي كانت شيوعية موالية لروسيا وللقيادات الوطنية الجديدة ، أما الشعوب المسلمة فإنها بلا شك لديها إحساس - قد لا يكون واضحاً - بهويتها وبإخوانها في العالم

الإسلامي الواسع الذي بُتُّرَتْ منه رِدْحًا من الزَّمْنِ . وَهَذِهِ الْمَرْحَلَةُ عَدْمُ اتِّصَاحِ التَّوْجِهِ وَغَيْشِ الْطَّرِيقِ مَرْحَلَةٌ تَكَادُ تَكُونُ طَبِيعِيَّةً لِّأَمَّةٍ بَعْدَ الطَّرِيقِ بَهَا وَقُلُّ الْمُتَابِعِينَ لَهَا عَلَى الْحَقِّ وَلَا تَجِدُ فِي الْوَاقِعِ الْإِسْلَامِيِّ بَدَائِلَ تَقْتَدِيَ بَهَا وَلَا قِيَادَةَ تَهْتَدِيَ بَهَا وَلَا تَجْمِعَأَ دُولِيًّا إِسْلَامِيًّا يَحْتَرِمُهَا وَيَسْتَحْقُ أَنْ تَعْطَى لَهُ التَّقْهِيَّةُ وَالْوَلَاءُ .

عَلَى الرَّغْمِ مِنْ كُلِّ تَلْكَ السَّلْبِيَّاتِ فِي الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ مُثْلِّ عَدْمِ اسْتِقْرَارِ الْأَمْرَوْرِ فِي أَفْغَانِسْتَانِ وَعَلَى الرَّغْمِ مَا يَحْدُثُ لِلْمُسْلِمِينَ فِي الْبُوْسْنَةِ وَالْجَزَائِرِ وَتُونْسِ وَبُورْمَا وَالْفَلَبِينِ وَغَيْرِهَا ، فَإِنْ هَذِهِ الْأَمْتَلَةُ نَفْسَهَا تَحْمِلُ دَلَالَاتِ الْخَيْرِ وَالنَّصْرِ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ . هَذِهِ الْأَزْمَاتُ حَدَّثَتْ فِي أَغْلِبِهَا لَأَنَّ هَذِهِ الْجَمَاهِيرَ الْمُسْلِمَةَ فِي الْبَلَادِ الْمُذَكُورَةِ ، حَدَّتْ طَرِيقَهَا ، وَاسْتَجَابَتْ لِنَدَاءِ الْحَقِّ وَعَرَفَتْ مِنْ هِيَ وَمَا هِيَ هَوْيَتِهَا وَبَقِيَ السَّاجِنُونَ وَجَلَّوْزَتِهِمْ يَصْرُونَ عَلَى تَدْمِيرِ هَذِهِ الشَّعُوبِ وَمَصَادِرَهُ حَقَّهَا فِي الْاِخْتِيَارِ وَسَعَيْهَا لِتَحْقِيقِ أَمْرِ اللَّهِ وَشَرِعِهِ ، وَلَكِنَّ الْبَاطِلَ لَنْ يَسْتَطِعَ أَنْ يَسْتَمِرَ فِي الْمَوَاجِهَةِ وَقَدْ هَدَمَتْ رَموزَهُ الْجَبَارَةَ ، وَبَقِيَّةَ رَموزَ الْبَاطِلِ فِي تَهَاوِي بِإِذْنِ اللَّهِ .

وَالْمَكْسُبُ الْحَقُّ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ عَادُوا إِلَى رِشْدِهِمْ وَإِلَى كِتَابِ رَبِّهِمْ وَهَدِيِّ رَسُولِهِمْ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهَذَا الْمَكْسُبُ هُوَ أَعْظَمُ الْمَكَاسِبِ فِي دُنْيَا هُمْ وَآخِرَتِهِمْ وَهُبُّهَا لَمْ تَحْقِقْ كُلَّ أَمَالِ الْمُسْلِمِينَ فِي وَحْدَتِهِمْ وَأَنْتِصَارِهِمْ الْمَادِيِّ فَإِنَّهُمْ حَقَّاً قَدْ اَنْتَصَرُوا وَكَسَبُوا حِينَ وَحَدُّوا اللَّهَ وَآمَنُوا بِهِ وَاسْتَسْلَمُوا لِأَمْرِهِ وَعَمَلُوا عَلَى ذَلِكَ . وَقَدْ سَبَقُهُمْ أَنْبِيَاءُ وَرَسُولُ دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَأَقَامُوا شَرِعَهُ فِي أَنْفُسِهِمْ وَفِي قَلْةِ مِنْ اِتَّبَاعِهِمْ وَقَتَلُوا أَوْ مَاتُوا دُونَ أَنْ يَقِيمُوا كِيَانَاتٍ وَاسِعَةً وَلَمْ تَتَّبِعُهُمْ أَمْمٌ كَثِيرَةٌ ، آمَنَّ مَعَهُمْ الرَّجُلُ وَالرَّجُلُانِ وَذَلِكَ خَيْرٌ كَبِيرٌ وَذَلِكَ نَصْرٌ هُمْ فِي الدُّنْيَا: ((إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُولُ الْأَشْهَادُ \* يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ الْعَنَّةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ))

غافر: [٥٢-٥١]

لِلْمُسْلِمِينَ الْيَوْمِ أَنْ يَفْرَحُوا بِنَصْرِ اللَّهِ ، وَخَذْلَانِ أَعْدَائِهِ ، وَأَنْ يَتَفَاعَلُوا وَيَذْكُرُوا أَنَّ رَسُولَهُمْ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ يُحِبُّ الْفَلَلَ وَيُكَرِّهُ الْطِّيرَةَ ، وَيَنْقُلُ لَهُمْ عَنْ رَبِّهِ الْبَشَائِرَ بِاِنْتِصَارِ الْإِسْلَامِ وَبِلُوغِهِ الْمَشْرُقِ وَالْمَغْرِبِ وَحِصْوَلِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى كُنُوزِ الْأَرْضِ وَهِيَمِنْتُهُمْ عَلَى الْأَمْمَ وَفَتْحِ عَوَاصِمِهِمْ . وَعَلَيْنَا أَنْ نَسْلِكَ طَرِيقًا عَمَلِيًّا تَقْوِيمَ بِهِ الشَّعُوبَ وَتَبَادِرَ بِهِ وَحِينَ يَكُونُ الْأَمْرُ أَمْرًا عَالِمَةً صَادِقَةً فَإِنَّهُ لَا يَقْفِي فِي طَرِيقَهَا عَائِقًّا ، عَلَيْنَا أَنْ نَسَارِعَ فِي إِحْيَا الشَّعُورِ الْإِسْلَامِيِّ بِالْأَمْمَ الْوَاحِدَةِ وَالْجَسَدِ الْمُسْلِمِ الْوَاحِدِ وَضَرُورَةِ تَقْوِيَّةِ هَذِهِ الْجَسَدِ وَاهْتِمَامِهِ بِذَاتِهِ وَنَفِيَ كُلُّ الْأَخْطَارِ عَنْهُ وَالْحَفَاظُ عَلَى لِبَنَاتِ الْكَيَانِ الْإِسْلَامِيِّ الْوَاحِدِ مِنْ خَلَالِ :

- التَّعَارُفُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ بِزِيَارَةِ دُولِهِمْ وَالنَّشْرِ عَنْهُمْ وَعَنْ تَارِيَخِهِمْ وَبِلَادِهِمْ وَسَكَانِهِمْ وَلِغَاتِهِمْ إِذْ أَنْهُمْ عَمَقُ إِسْلَامِيِّ مِمْهُ فِي كُلِّ جَوَانِبِهِ .
- الْعَمَلُ عَلَى نَشَرِ الْوَعِيِّ بِكُونِ الْمُسْلِمِينَ أَمَّةً وَاحِدَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ .
- إِبْجَادِ الْمَؤْسِسَاتِ الْعَلْمِيَّةِ وَالْقَافِيَّةِ وَالْتِي تَهْتَمُ بِالْتَّرِبِيَّةِ وَالنَّشْرِ وَأَنْ نَكُونَ أَسْبَقَ مِنْ غَيْرِنَا إِلَى هَذَا .
- إِبْجَادِ الْأَسْوَاقِ لِبَضَائِعِهِمْ وَالْإِسْتِفَادَةِ مِنْ مَنْتَوْجَاتِهِمْ وَلِيُصْبِحَ التَّكَامُلُ الْاِقْتَصَادِيُّ فِي الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ أَمْرًا مَفْرُوضًا عَلَى الْعَالَمِ أَجْمَعًا وَإِنْ لَمْ تَتَّبِعْهُ الْجَهَاتُ الرَّسِمِيَّةَ .
- الْعَمَلُ عَلَى نَشَرِ الْلِّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَمَدَارِسُهَا وَكُتُبُهَا وَكُلِّ الْإِنْتَاجِ بِهَا وَمَحَاصِرَةِ الْلِّغَاتِ الْغَرَبِيَّةِ الَّتِي قَطَعَتْ شَعُوبَنَا ، وَأَلْغَتْ التَّفَاهُمَ بَيْنَهَا وَحَمَلَتْ إِلَيْنَا الْفَسَادَ بِكُلِّ أَنْوَاعِهِ .
- الْاسْتِثْمَارُ الْمُهِمُّ فِي عَالَمِ الْإِنْسَانِ وَهُوَ مَقْدُمٌ عَلَى الْاِشْتِغَالِ بِالْبَنِيَانِ ، وَإِعْطَاءِ الْفَرَصِ الْعِلْمِيَّةِ وَنَشَرِ الْمَدَارِسِ وَقَنْوَاتِ الْإِعْلَامِ الْإِسْلَامِيِّ أُولَوِيَّةً إِسْلَامِيَّةً لَنَا الْيَوْمَ .

## التطور التاريخي لتدوين العقيدة الإسلامية

### عثمان جمعة ضميرية

إن من أكثر الكلمات والألفاظ تداولاً على الألسنة بين الناس كلمة "العقيدة" وما يقاربها ويتفق معها في الاستيقاظ ، كالاعتقاد والعقائد.. وعلى كثرة استعمال هذه الكلمة التي غدت مصطلحاً شائعاً، فإننا لا نجد لها استعمالاً في القرآن الكريم وفي الحديث الشريف .

ولذلك يرى بعض الباحثين : أنها مستحدثة في العصر العباسي للمعنى الذي استعملت فيه ، وأن اللفظ المستعمل في القرآن الكريم والحديث الشريف هو الإيمان" . وقد استعمل لفظ "العقيدة" أجيال من المسلمين ، بمعنى : الأفكار الأساسية التي يجب على المؤمن بدين أن يقبلها ويصدق بها . واستعمال السلف . من العلماء والأئمة لهذه الكلمة دليل على جواز ذلك وإطلاقها على هذا الجانب من جوانب الدين(1) .

ولعل هذا دعونا إلى استقراء المصطلحات الفنية ، بعد تدوين العلوم الإسلامية ، التي بحثت هذه الأفكار العقدية من خلالها ؛ لنبيان أصل استعمال كل منها في اللغة العربية ، وفي لسان الشرع بعامة، ثم كيف أصبح ذا مدلول خاص بعد ذلك. وقد يترتب على استعمال مصطلح من المصطلحات آثار معينة ، إيجابية أو سلبية ، قد تُلْمِح إلى شيء منها دون تفصيل .

والاستقراء - وقد لا يكون تماماً - على حسب الوع وطاقة ، وبمقدار ما أتيح لي من اطلاع على ما كتبه علماؤنا في جانب العقيدة ، يرشدنا إلى المصطلحات الآتية - والتي نعرضها تباعاً - وقد رتبها بحسب أولية ظهورها واستعمالها تاريخياً ، حيث ذكر أول من استعمل اللفظ أو كتب فيه، ثم أتبعه بمن تابعه على ذلك ولو في عصور متأخرة، مرتبأ ذلك حسب وفيات المؤلفين، دون استقصاء أو استيعاب .

وأول ما نجده من هذه المصطلحات عنواناً على الجانب العقدي من الدين هو مصطلح "الفقه الأكبر".

### ١- الفقه الأكبر

\* قال العلامة اللغوي ابن فارس، في "معجم مقاييس اللغة" (٤٢٤/٤): "فقه - الفاء والقاف والهاء أصل واحد صحيح ، يدل على إدراك الشيء والعلم به . تقول : فقهت الحديث أفقهه . وكل عالم بشيء فهو فقيه.. ثم اختص بذلك علم الشريعة ، فقيل لكل عالم بالحلال والحرام : فقيه . وأفقهتك الشيء ، إذا بَيَّنْتَه لك" .

\* وقال ابن منظور في "لسان العرب" (١٣/٢٥) :

"الفقه : العلم بالشيء والفهم له . وغلب على علم الدين ، لسيادته وشرفه وفضله على سائر أنواع العلم كلها" .

\* وقال الراغب الأصفهاني في "مفردات القرآن" ص (٣٨٤) :

"الفقه : هو التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد . فهو أخص من العلم ، قال تعالى: ((فَمَالِ هُؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَفْهُمُونَ حَدِيثًا)) ، وقال : ((ولَكُنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْهُمُونَ)) إلى غير ذلك من الآيات . والفقه العلم بأحكام الشريعة . يقال: فقه الرجل فقاها، إذا صار فقيهاً . وفقه - أي فهم - فقهها ، أي فهمه ، وتفقهه : إذا طلبه فتخصّص به . قال تعالى : ((لَيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ)) .

\* من هذه النصوص اللغوية وغيرها ، نستبط أمرتين اثنين :  
الأول: أن الفقه في اللغة وهو الفهم والعلم بالشيء، أو هو فهم غرض المتكلم خاصة. ومنهم من يجعله خاصاً بفهم وعلم الأمور الخفية الدقيقة التي تحتاج إلى نظر وتأمل واستدلال (٢)  
والثاني: أن العرف قد خصّ الفقه بعلم الدين، أو العلم بأحكام الشريعة كلها. وهذا المعنى الشرعي العام هو الذي كان معروفاً عند السلف في العصور المتقدمة، قبل أن يخصصه المتأخرون بمعرفة الأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلةها التفصيلية ، كما هو المشهور في تعريفه عند الفقهاء والأصوليين.

\* وقد أوضح الإمام الغزالى هذا التخصيص لكلمة "الفقه" في حديثه عما بُدّل من ألفاظ العلوم إلى غير ما أراده السلف الصالح والقرن الأول ، قال :  
كان الفقه يطلق في العصور الأولى على علم طريق الآخرة ، ومعرفة دقائق آفات النفوس ومسدات الأعمال ، وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة واستيلاء الخوف على القلب . ويدلّك على هذا المعنى قول الله -عز وجل- : ((لَيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلَيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ)) [التوبه: ١٢٢] .  
وما يحصل به الإنذار والتخويف هو هذا الفقه ، دون تفريعات الطلاق والعتاق واللعان.. فذلك لا يحصل به إنذار ولا تخويف ، بل إن التجرد لهذه التفريعات ، والاشتغال بها على الدوام - دون أي ملحوظ آخر - يقسى القلب وينزع الخشية منه ، كما نشاهد من المتجردين له .

وقال تعالى : ((لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَقْهُؤُنَّ بِهَا)) [الأعراف: ١٧٩] وأراد به معانى الإيمان دون الفتوى . ولعمري إن الفقه والفهم في اللغة اسمان بمعنى واحد . وإنما يتكلم في عادة الاستعمال به قديماً وحديثاً، قال تعالى: ((لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَقْهُؤُنَّ)) [الحشر: ١٣] ، فأحال قلة خوفهم من الله واستعظامهم سطوة الخلق على قلة الفقه . وليس ذلك نتيجة عدم الحفظ لتفريعات الفتوى ، وإنما هو نتيجة عدم ما ذكرناه من العلوم .

ولست أقول : إن اسم الفقه لم يكن متداولاً للفتاوى في الأحكام الظاهرة ، ولكن كان متداولاً لها بطريق العموم والشمول ، أو بطريق الاستتباع . فكان إطلاقهم له على علم الآخرة أكثر (٣) .  
وكان تخصيص "الفقه" بمعرفة فروع الأحكام بعد أن ذهب أهل القرون الفاضلة الأولون ، وانقلبوا العلوم كلها صناعات بعد أن كانت مقاصد وغايات ! (٤) .

\* وعلى هذا المنهج في عموم كلمة "الفقه" جاء التعريف المنقول عن أبي حنيفة - رحمة الله - بأنه: "معرفة النفس ما لها وما عليها". أي : ما تنتفع به النفس وما تتضرر به الآخرة . أو ما يجوز لها وما يجب عليها وما يحرم . وهذا يتناول الأحكام الاعتقادية ، كوجوب الإيمان ونحوه ، والأحكام الوجданية الأخلاقية ، مما حثّ عليه الإسلام كالصدق والأمانة والوفاء ونحوها ، ويشمل أيضاً الأحكام العملية كالصلوة والصوم.. والبيع ونحوها (٥) .

\* ويُفضّل في هذا الاستخدام لكلمة "الفقه" بهذا المعنى ، فإن كان للاعتقادات سمي "الفقه الأكبر" لأنّه أكبر بالنسبة للأحكام العملية الفرعية ، التي تسمى "الفقه الأصغر" ؛ كما أن شرف العلم إنما يكون بشرف المعلوم ، والاعتقاد يبحث في الإيمان بالله ووحدانيته وصفاته ، ولا معلوم أكبر من ذات الله تعالى ، ولذلك سمي بالفقه الأكبر .

أ- أول من استخدم مصطلح "الفقه الأكبر" ، هو الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت (ت ١٥٠ هـ)  
فقد روى عنه كتاب بهذا الاسم ، وهو مشهور عند أصحابه - كما يقول ابن تيمية رحمة الله - رواه  
بالإسناد عن أبي مطیع ، الحكم عبد الله البلخي .

وهو متن صغير يقع مطبوعاً في بعض ورقات ، "حدّ فيه عقائد أهل السنة تحديداً منهجاً" (٦) ، ورد فيه على المعتزلة والقدرية والجهمية والشيعة . ويشتمل على خمسة أبواب في القدر والمشيئة والرد على من يكفر بالذنب ، والباب الأخير في الإيمان .

وقد نال هذا الكتاب عناية كثير من العلماء المتقدمين والمتاخرين شرعاً له ودراسة . وإن كانت بعض هذه الشروح محل نظر بالنسبة ل أصحابها .

وأشير إلى أن الروايات للكتاب مختلفة ، فمثلاً الرواية التي شرحها ملا علي القاري (ت ١٠١٤هـ) تختلف عن الرواية المنسوب شرحها للماتريدي (ت ٣٣٢هـ) . مما جعل بعض الباحثين يتعدد أو يشك في نسبة الكتاب للإمام أبي حنيفة . ولكن شهرة الكتاب ونسبته قد تغنى عن الإسناد ، وإن كان ذلك لا ينفي أن بعض المسائل الحقّ به في عصر متاخر ، أو كانت من بعض الشارحين لم تتميز عن أصل الكتاب . ولا يزال الأمر بحاجة إلى دراسة متأنية . وقد يطمئن بعض العلماء إلى نسبة الكتاب أو إلى أن ما فيه يعبر فعلاً عن رأي أبي حنيفة فينقل منه مذهبه في بعض المسائل كما فعل شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- (٧) .

ب - وينسب كذلك للإمام الشافعي -رحمه الله- (٤٢٠هـ) كتاب بالاسم نفسه "الفقه الأكبر" ، يقول عنه حاجي خليفة في "كتشf الظنون" : وهو جيد جداً ، مشتمل على فصول ، قرأه بعض أهل حلب على الشيخ زين الدين الشماع ، لكن في نسبته إلى الشافعي شك . والظن الغالب أنه من تأليف بعض أكابر العلماء .

ويرجح بروكلمان في "تاريخ الأدب العربي" أنه يرجع إلى أوساط إسرائيلية متأسياً في ذلك بالمستشرق اليهودي غولدزيهير الذي يرجع كل أثر إسلامي إلى أصول إسرائيلية! وقد طبع الكتاب قديماً في القاهرة سنة (١٩٠٠م) ، وتقع مخطوطته في ثلاثة وعشرين ورقة ، تجد فيها أحياناً أسلوب الشافعي -رحمه الله- ، ولكن تقف عند بعض العبارات التي لم تكن مستعملة في عصره، مما جعل بعضهم ينسبه لفخر الرازي ، أو يقول عنه : "فيه أسلوب عصر فخر الدين الرازي ، وإن كانت آراؤه تمت إلى كثير من آراء الشافعي في أصوله" .

وأراني قد أطلت في بيان هذا المصطلح لأنه أول مصطلح في التطور التاريخي للتدوين والتأليف في العقيدة . فلننظر في مصطلح آخر يليه مباشرة .

## ٢- الإيمان

\* قال ابن فارس في "معجم مقاييس اللغة" (١٣٣/١-١٣٥) : "أمن - الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان ، أحدهما للأمانة التي هي ضد الخيانة . ومعناها: سكون القلب . والآخر: التصديق والمعنيان متداينان.. وأما التصديق فمنه قول الله تعالى: ((وما أنت بمؤمنٍ لَنَا)) [يوسف ١٧] أي مصدق لنا . وقال بعض أهل العلم: إن "المؤمن" في صفات الله تعالى ، هو أن يصدق ما وَعَدَ عَبْدَهُ من الثواب . وقال آخرون: هو مؤمن لأوليائه يؤمنهم عذابه ولا يظلمهم . فهذا قد عاد إلى المعنى الأول..." .

\* وقال الأزهري في "تهذيب اللغة" (٤٥١/٢-٤٥٢) :

"وأما الإيمان: فهو مصدر آمن يؤمن إيماناً . واتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم على أن الإيمان معناه التصديق.." ، ثم قال: "وهذا موضع يحتاج الناس إلى تفهمه وأين ينفصل المؤمن عن المسلم وأين يستويان؟" وشرح ذلك باستفاضة .

هذا ، والإيمان في لغة العرب يستعمل متعدياً ولازماً ؛ فإذا استعمل لازماً كان معناه أنه صار ذا أمن . وإذا استعمل متعدياً ؛ فتارة يتعدى بنفسه فيكون معناه التأمين . وتارة يتعدى بالباء أو اللام ، فيكون معناه التصديق (٨) .

وفي الاصطلاح الشرعي : كثيراً ما ترد كلمة الإيمان ، ويراد بها المعنى اللغوي نفسه ، فتطلق على مطلق التصديق ، سواء كان تصديقاً بحق أو باطل . وكثيراً ما يراد معنى أخص صار في العرف الشرعي حقيقة جديدة ، فيراد بها خصوص التصديق بخبر السماء المنزل على الأنبياء .

وضابط ذلك : أن ننظر في استعمالها ؛ فإن كانت متعلقة بشيء ، كأن قيل :

إيمان بهذا ، كانت بمعناها اللغوي البحث ، أي مطلق التصديق . وأما إذا ذكرت بدون متعلق فالمراد بها تلك الحقيقة الشرعية الخاصة ، وهي التصديق بالحق والانقياد إليه(\*).

وعنده فاء الإيمان عبارة عن ثلاثة أشياء:

الأول : هو الاعتقاد الجازم بكل ما ثبت بالضرورة أنه جاء من عند الله تعالى على لسان رسوله - صلى الله عليه وسلم - ولا بد مع هذا من الرضى والارتياح النفسي .

الثاني : إعلان هذه العقيدة بالقول أو غيره ، من كل ما يدل عليها ظاهراً .

والثالث : العمل بكل ما أمر الله به من فريضة أو نافلة والانتهاء عمّا نهى الله عنه من حرام وشبهة صغيرة وكبيرة في سره وعلانيته بقلبه وجوارحه .

هذا، وكلمة الإيمان ومشتقاتها من أكثر الكلمات استعمالاً في القرآن الكريم والسنّة النبوية، والحديث عن الإيمان فيهما يتميز بأسلوب حيٍّ مؤثر يملك على الإنسان جوانب نفسه ، ويحمله على الطاعة والالتزام ، فيكون له أثر في الفرد والجماعة ، ويختلف هذا الأسلوب عن أسلوب المتأخرین فيما بحثوه وشغلوا به حول حقيقة الإيمان وأجزائه، وارتكاب الكبيرة وحكمها وأثرها على الإيمان . وحسبنا هنا هذه الإشارة الموجزة..

\* وتحت عنوان "الإيمان" بحث علماؤنا - رحمهم الله - جوانب من العقيدة كما نجد ذلك في أبواب الإيمان من كتب الحديث، كما نجد ذلك في بعض كتب التفسير، وخصص بعضهم كتاباً مفردة للايمان ، نذكر أهم ما وصل إلينا منها ، أو ما عُرف منها حسب الترتيب التاريخي لوفيات مؤلفيها : أ- "كتاب الإيمان ومعالمه وسننه واستكمال درجاته" للإمام أبي عبيد القاسم بن سلام ، البغدادي الهروي (ت ٢٢٤ هـ) .

ب- كتاب الإيمان ، للحافظ أبي بكر بن أبي شيبة (٢٢٥ أو ٢٣٥ هـ) ، وكلاهما مطبوع بتحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني .

ج- كتاب الإيمان للإمام أحمد بن حنبل الشيباني (٢٤١ هـ) وحقق رسالة جامعية في المدينة النبوية .

د- ثم هناك كتب أخرى تحت هذا الاسم ، لمحمد بن أسلم الطوسي (٢٤٢ هـ) والعدّاني (٢٤٣ هـ) ، والطحاوي (٣٢١ هـ) ، وابن منده (٣٩٥ هـ) وأبي يعلى الفراء (٤٥٨ هـ) ، وشيخ الإسلام ابن تيمية .

وفي مقدمة التحقيق لهذه الكتب أو لما طبع منها محققاً، نجد دراسة عن كل كتاب ومنهجه وميزاته . وفي العصر الحديث ظهرت كتب كثيرة تحت هذا العنوان تعالج جوانب من العقيدة الإسلامية وآثارها في الحياة ، وتدرس الإيمان دراسة نفسية تحليلية ، وفيها ما هو نافع ومفيد .

### الهوامش :

١- انظر الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية ، للأستاذ محمد المبارك ص (٧٥) .  
٢- انظر : الصحاح للجوهري : ٢٢٣٤/٦، ترتيب القاموس المحيط : ٥١٣/٣ ، تعريفات الجرجاني ص (٢١٦) .

٣- انظر : إحياء علوم الدين للغزالى : ٣٢-٣٢/١ .

٤- شرح التوضيح على التتفازانى : ٢٧/١ . ٢٩-٢٧/١ .

- ٥- انظر التوضيح للتفتازاني : ١٩١-٢٠ ، كشف الأسرار على أصول البزدوي : ٨/١ ، كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي : ٤٢-٤١/١ .
- ٦- نشأة الفكر الفلسفي للنشراء: ٢٣٤/١ .
- ٧- انظر مجموع الفتاوى : ٤٦-٤٨ ، درء تعارض العقل والنقل : ٦٦٣/٦ - ٦٦٤ .
- ٨- انظر المفردات للراغب ص (٢٦) ، المختار من كنوز السنة للدكتور محمد عبد الله دراز ص (٦٩) .

\* نفى ابن تيمية أن يكون التصديق مرادفاً للإيمان ، لا لفظاً ولا معنى ، وأنى على ذلك بأدلة لغوية وشرعية ، ورد على ما ينبني على هذه المقدمة أيضاً من أن التصديق لا يكون إلا بالقلب أو اللسان ، وفصل القول في مسألة مهمة بما لا مزيد عليه ولا أشفى منه وهي : هل في اللغة أسماء شرعية نقلها الشارع عن مسمها في اللغة ؟ أو أنها باقية في الشرع على ما كانت عليه في اللغة ، لكن الشارع زاد في أحکامها لا في معناها .

يراجع كتاب الإيمان لابن تيمية ص ٢٤٧-٢٥٩ ط دار الكتب العلمية وحوالي ص ٢٧٢-٢٧٦ ط المكتب الإسلامي . - التحرير -

## كتب الفرصة السانحة (\*)

عرض : د. مالك إبراهيم الأحمد

يعتبر الكثير من النقاد والمحليين السياسيين كتاب نيكسون الأخير " الفرصة السانحة " أهم كتبه التسعة على الإطلاق ، ونظراً لما يمثله هذا الكتاب من أهمية بالغة سواء من حيث كاتبه وهو رئيس سابق للولايات المتحدة أو من حيث المادة المعروضة وهي دراسة تحليلية لواقع العالم " ومن ضمنه العالم الإسلامي " ، رأينا عرض هذا الكتاب للقارئ المسلم خاصة وأنه يعرض الفكر الغربي (الأمريكي على وجه الخصوص) بشكل واضح وعميق ، ولهذا أوصي أصحاب الاهتمام بقراءة هذا الكتاب ..

### فصول الكتاب :

الكتاب يتكون من سبعة فصول ، الأول بعنوان العالم الحقيقي ويقصد به العالم الذي تسود فيه قوى الحرية بزعامة أمريكا . والفصل الثاني " الإمبراطورية الشريرة السابقة " وهي إمبراطورية الاتحاد السوفياتي التي سقطت . وقد أشار في توطئة الكتاب حول سقوط الاتحاد السوفياتي بقوله : "منذ حوالي اثنين وثلاثين عاماً قال لي خروتشوف في موسكو بشيء من الصلف : سوف يعيش أحفادك في ظل الشيوعية ، فأجبته قائلاً : سوف يعيش أحفادك في ظل الحرية " .

أما الفصل الثالث فهو بعنوان : "الوطن المشترك عبر الأطلنطي " أي أوربا . والفصل الرابع عن المثلث الباسيفيكي . والفصل الخامس عن العالم الإسلامي وال السادس حول نصف الكرة الجنوبي (نظرة تفصيلية لدول العالم الثالث اقتصادياً وسياسياً) ، ويختتم الكتاب بفصل تجديد أمريكا .

وسوف نتوقف في استعراضنا هنا عند الفصول الأول والخامس والأخير لما لها من أهمية خاصة لنا المسلمين .

يتصدر الفصل الأول دعوة ساخنة كي تلعب الولايات المتحدة الأمريكية دورها في العالم "تعيش الآن في عالم ليس به إلا قوة عظمى واحدة وهي الولايات المتحدة ، وعليها الآن تشكيل سياستنا

الخارجية لكي تتناءل مع الوضع الجديد . وينادي كثير من الأميركيين سواء من اليمين أو اليسار بأنه على الولايات المتحدة أن تتراجع وتنطوي على نفسها بعيداً عن العالم بعد انهيار الاتحاد السوفياتي . ولكن الواقع يقول إنه يجب على أمريكا أن تقود العالم في السنين القادمة" . ثم يشير إلى الحرب الباردة ويركز على دور الاتحاد السوفياتي الشرير في العالم وما آل إليه أخيراً ، ثم يرد على ثلاثة شعارات مطروحة : الأولى: التاريخ قد توقف وذلك بعد انهيار الشيوعية وأن السيطرة هي للتكنولوجيا والاقتصاد والأفكار وليس للقوة العسكرية .

الثاني : القوة العسكرية ليس لها ضرورة وأنها لم تعد تشكل حجر الأساس في السياسة الدولية . الثالث : أمريكا في طريقها إلى التراجع بسبب الديون الضخمة والعجز التجاري . وفي رده المفصل على هذه الأطروحات يؤكد أن القوة الاقتصادية ليست بديلاً بأي حال لقوة العسكرية ويضرب مثالاً على ذلك في أزمة الخليج حيث وقفت أكبر قوتين اقتصاديتين وهما ألمانيا واليابان متفرجتين على الأوضاع بل اعتمدتا كلياً على دور الولايات المتحدة . ثم يتساءل : "إذا لم تنعم الولايات المتحدة بقيادة العالم فمن الذي يجب عليه ذلك ؟ إن الدول الوحيدة التي تستطيع ذلك هي اليابان والصين والاتحاد السوفياتي (سابقاً) وألمانيا . إن الولايات المتحدة ليس لديها فقط ما تملكه هذه الدول ، بل أيضاً ما لا تملكه ، وهو عدم وجود تطلعات إمبريالية أو استعمارية تجاه الدول الأخرى" .

ويحاول نيكسون أن يبرز إيجابيات تفرد الولايات المتحدة وحرصها على رفاه وحرية العالم ، وإن لم تكن لها مصالح من ذلك ويضرب لذلك مثال أزمة الخليج : "ولا تدخل الرئيس بوش لكن صدام حسين يتحكم الآن في ٥٠% من إنتاج البترول العالمي ، وبالرغم من أن أمريكا يمكنها الاستغناء عن نفط الخليج إلا أن أوربا واليابان لا يمكنهما ذلك ، ونحن نتأثر بما يصيب اقتصاديات البلاد الديمقراطية الأخرى ، ولذلك كان لا يمكننا أن نسكت على سيطرة العراق على نفط الخليج الذي يمكن أن تتخذه وسيلة لتهديد العالم عن طريق التحكم في إنتاجه" .

ويناقش نيكسون بتفصيل القول الذي يدعو إلى انكفاء الولايات المتحدة على نفسها ومحاربة مبدأ رجل البوليس الدولي مضيفاً عنصراً أخلاقياً - في زعمه - لدورها: "إن انعزانا يخالف مثلاً وعقائدنا الدينية التي تدعو إلى نشر الفضيلة في العالم أجمع، وهذا لا يعني أن علينا أن نتدخل في كل صغيرة وكبيرة في العالم، ولكن يجعل علينا التزاماً أديبياً في استخدام كل إمكاناتنا كدولة عظمى لحماية الحرية والعدل في البلاد التي يهمنا أمرها وهي مفيدة لنا" . ويشير إلى أن دور الأمم المتحدة - كحافظ للسلام الدولي - محدود جداً ، ولا يمكن أن تتحقق أي دور ما لم يتم اتفاق الدول الكبرى على رأي محدد سابقاً .

ويضرب لذلك أمثلة حيث لم تتخذ الأمم المتحدة موقفاً إيجابياً وعملياً من حوالي مئة حرب في أنحاء العالم إلا في حالتين وهي الحرب الكورية وحرب الخليج . وهذا بالطبع يدل على أن لا مناص من قيادة الولايات المتحدة للعالم .

ويتطرق في موضع آخر إلى قضية حيوية وهي : متى تتدخل الولايات المتحدة في أزمات العالم . ويحبيب بحسب مصالح الولايات المتحدة والتي يقسمها إلى مصالح حيوية (ما كان يهدد مصالح الولايات المتحدة مباشرة) ومصالح هامشية ومصالح حساسة (وهي التي تشكل تهديداً لإحدى النقاط الحيوية للولايات المتحدة) . فالتدخل لازم في الحالة الأولى ومحتمل في الثالثة .

والولايات المتحدة - في نظر نيكسون - قادت العالم الحر ضد التهديد الشيوعي سابقاً، وهي محل أنظار العالم لتقاده إلى الحرية والسلام والتقدم ، وهي قادرة على ذلك رغم ما يعتريها من مشاكل

داخلية حادة من جريمة ، مخدرات ، سوء تعليم ، تفرقة عنصرية وغيرها . والفرصة سانحة لها لقيادة العالم فهل هي فاعلة ؟؟

في فصل العالم الإسلامي ينقل نيكسون التصور الخاطئ والمنتشر لدى الأمريكان عن المسلمين والعالم الإسلامي مبيناً أنهم - في تصور الأمريكان - أصحاب أشد الصور قاتمة وأشد حتى من الصين الشيعية .

ويشير إلى الصيحات والتحذيرات التي يطلقها البعض محذرين من الخطر الداهم القادم من العالم الإسلامي ، ذي الإمكانيات البشرية الهائلة والمادية الضخمة ، ويرد على ذلك بأن الأمر أهون مما يتصورون ، فالمسلمون - رغم إيمانهم بالدين الإسلامي جملة - فإنهم يعانون تفككاً سياسياً ذريعاً ومشكلات مستعصية وتمزقاً عقائدياً ومذهبياً .

ويتطرق في موضع آخر إلى الحضارة الإسلامية السابقة وإمكانية عودتها مستقبلاً إذا استقرت الأمور في المنطقة بعيداً عن الحروب ، (مع إسرائيل بالطبع) . ويصنف الحركات السياسية في العالم الإسلامي إلى ثلات مجموعات رئيسية :

١- الأصوليون (كما يسميهم الغرب): ويمثلهم بشكل خاص الثوار الشيعة في إيران ولبنان.

٢- الرجعيون : وهم الدكتاتوريون الذين يؤمنون بالحزب الواحد أمثال صدام العراق وقذافي ليبيا .

٣- التقديميون : الذين يرون ربط المسلمين بالغرب وليس لهم نظرة عدائية للغرب مثل تركيا ، باكستان ، ومصر .

ونظرة نيكسون نحو هذه المجموعات هو دعم التقديميين لما فيه من مصلحة متبادلة ، وكيف يستطيعوا مقاومة الأصولية والرجعية . ويبين طريقة التعامل مع جميع المجموعات سواء كانوا أصوليين في السلطة (مثل إيران) أو تقديميين يمكن أن يكونوا شركاء منطقيين للولايات المتحدة (تركيا - باكستان - مصر اندونيسيا) نظراً لثقل بلدانهم الاستراتيجي ولمقوماتهم البشرية والمادية .

أما أسلوب التعامل معهم "فيجب ألا تصل العلاقة بين أمريكا والدول الشريكة إلى حد الوصاية ، ويجب ألا نتعامل مع الزعماء في الدول التقديمية كأنهم مراسلون بيننا وبين شعوبهم، بل علينا أن نعاملهم كشركاء متساوين، لأن أسرع طريقة ندفعهم بها هي معاملتهم كأنهم أبواب للدعائية الغربية" .

ويضيف قائلاً " علينا أن نقبل في بعض الأحيان رفض أصدقائنا في العالم الإسلامي لبعض تصرفاتنا، التي تسبب لهم حرجاً سياسياً في بلادهم. عندما ألت الولايات المتحدة القنابل على ليبيا انتقاماً منها لمحاجمتها بعض الجنود الأمريكيين قام كثير من الزعماء في المنطقة بلعنة على الملا، وبالثناء علينا في سرهم. فيجب ألا يزعجنا أن تضطر الظروف أصدقائنا أن يتقوها ببعض السباب ضدنا إرضاءً لأعدائنا" .

ويمثل العالم الإسلامي - كما يرى نيكسون - واحداً من أكبر التحديات لسياسة الولايات المتحدة في القرن القادم ، وهناك قضيتان أساسيتان تمثلان حالة عدم استقرار فيه ، وهما النزاع العربي الإسرائيلي وأمن الخليج العربي .

ومن هذا المنطلق يحذر من محاولة وضع حل شامل للأمن في المنطقة ، أو محاولة وضع نظام للحد من الأسلحة ، أو الانسياق وراء مقوله إعادة توزيع الثروة بل يكتفي بوجود معاهدات أمنية ثنائية مشتركة مع دول المنطقة وتعاون على أوسع نطاق أمام أية تحديات تواجهها هذه الدول . وعقدة المنطقة - أو أهميتها - كما يرى نيكسون ؛ هو وجود البترول الذي يجب أن يصل للغرب بانتظام وبأسعار معندة ، وإسرائيل التي يجب أن تكون في مأمن من أي اعتداء ، مفصلاً ذلك بقوله : "إن

التزاماتنا نحو إسرائيل عميقه جداً . فنحن لسنا مجرد حلفاء ، ولكننا مرتبطون ببعضنا أكثر مما يعنيه الورق . نحن مرتبطون معه ارتباطاً أخلاقياً .

وأنهم - أي أمريكا حكومة وأفراداً - لا يمكن أن يسمحوا لأحد - كائناً من كان - بالتعريض لإسرائيل وتدميرها . ثم يفصل - من وجهة نظره - كيفية حل الصراع العربي الإسرائيلي بشكل يضمن حقوق إسرائيل والفلسطينيين .

وننتقل إلى الفصل الأخير "تجديد أمريكا" الذي هو بمثابة خاتمة الكتاب ويؤصل الكاتب فيه دور أمريكا القيادي للعالم وأهمية ذلك وأثره .

ويؤكد في بداية الفصل أن الدور الذي تقوم به أمريكا لا يمكن أن يقوم به غيرها ، نظراً لأنها تمتلك جميع مقومات القيادة وهي القوة العسكرية والاقتصادية والسياسية ، فضلاً عن المبادئ والمثل التي ترفع لواءها وتنتصر لها .

ويدعى نيكسون لمزيد من الاهتمام بالجانب الاقتصادي والتعليمي لأمريكا كي تكون عند حسن ظن الآخرين وتوقعاتهم ، ويتساءل خلال هذا الفصل : "هل تستطيع الولايات المتحدة أن تقوم بدور القيادة للعالم ؟ الجواب بكلمة واحدة : نعم ، ويمكن للعالم أن يتبع خطاناً" .

أما كيف تقود أمريكا العالم فيبين أن : "الولايات المتحدة كأكبر قوة في العالم من واجبها أن تقوده دون أن تفرض عليه آراءها أو مثالياتها . علينا أن نرعى نمو الديمقراطية ما دام هناك مجال لها ، وما دام الشعور القومي يتجاوب معها وتجاوب معها عاداته ومؤسساته ، وعلينا أن نحذر من فرضها على أي شعب بالعنف" . ويختتم بدعوه لأمريكا أن تتبوأ مكانها القيادي ، للعالم بأن يتبعها فهي منارة الأمان والحرية والسلام في العالم أجمع وبدونها فالقطار قد يتوقف إن توافق ربانه ، والفرصة سانحة لقرن أمريكي ثان قادم فهل هم فاعلون ؟

\* تأليف الرئيس الأمريكي السابق ريتشارد نيكسون ، ترجم بعنوان: الفرصة السانحة ، ترجمة : أحمد صدقي مراد ، الناشر دار الهلال ٢١٥ صفحة .

## خواطر في الدعوة مواعظ القرآن

محمد العبدة

يحتاج المسلم بين الحين والآخر إلى من يذكره ويعظه في نفسه ، ويرقق له قلبه ، ويضعه دائماً على الطريق السوي بلا إفراط ولا تفريط ، وهذا التذكير إذا قابل نفساً معتدلة فإنها تقبل وتنتأدب ، ولكن هناك صنف آخر من المسلمين قد ابتعد كثيراً عن آداب الإسلام وأخلاقه ، بل عن كثير من توحيد العبادة وما يليق بجلاله سبحانه وتعالى- من المحبة والتعظيم والخضوع والتسليم ، فمثل هؤلاء لا بد لهم من قوارع ومواعظ قوية تتباهم من غفلتهم ، وترجهم عن غيهم ، وليس أقوى من قوارع القرآن الكريم ، الذي أثر في العرب تأثيراً بالغاً ليس بنظمه المعجز فقط بل بزواجه ونواهيه وطريقة عرض قصصه في كل سورة ، فلماذا لا يقرع أسماع هؤلاء بمثل هذه الآيات : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَخَذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أُولَئِيَّاءِ إِنَّ أَسْتَحْبُّو الْكُفَّارَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ \* قُلْ إِنَّ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالُ أَقْرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةً تَخْشُونَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنَ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)) [التوبه ٢٣-٢٤]. وعندما سمع أحد زعماء

قریش رسول الله - صلی الله عليه وسلم - وهو يقرأ عليه : ((فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذِرْتُكُمْ صَاعِقَةً مُّثْلِ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودٍ)) [فصلت ١٣] طلب من الرسول - صلی الله عليه وسلم - التوقف عن التلاوة . وقد شدد رسول الله - صلی الله عليه وسلم - القول فيمن رجع إلى أخلاق الجاهلية فقال : "مثلك الذي يعيّن قومه على غير الحق ، مثل بعير تردى وهو يُجر بذنبه" (١) ، وقوله في الحديث : "وأنا آخذ بجزكم عن النار وأنتم تقتلون من يدّي" (٢) .

لماذا لا يصارح هؤلاء الذين استعبدتهم التقاليد والمظاهر التافهة وأصبحت كلماتهم وأفعالهم أبعد ما تكون عن الإسلام ، لماذا لا يصارحون بأن ما هم فيه إنما هو من رخاوة عقد الدين وضعف الإيمان

إن كثيراً من الخطباء والوعاظ لا يلمس الداء ولا يضع يده على الجرح ، وإنما يداورون ويتكلمون من بعيد ، وقد لا يفهم المخاطب أنه هو المعنى بهذا الكلام ، مع أن هناك فرقاً بين المصارحة وبين الشدة في القول التي تؤذى السامعين أو تجعل عندهم ردة فعل . ومثل هؤلاء يشدد عليهم لفترة معينة حتى يعودوا إلى الله ويؤوبوا وعندئذ يرجع الوعظ والكلام متقللاً بين الخوف والرجاء .

إن النفس البشرية لا يكفيها مجرد تأليف الكتب ووضع الأنظمة، التي تقول لهم : هذا حق وهذا باطل ، أو هذا حلال وهذا حرام ، بل لا بد أيضاً من الإذعان الوجداني ، والقناعة الداخلية والتأثير النفسي . وإن قصص القرآن وأمثاله المضروبة وأحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - كافية في إصلاح النفس وردعها ووضعها على الصراط المستقيم .

## الهوامش :

- ١- صحيح الجامع الصغير / ١٠١٦
  - ٢- صحيح الجامع الصغير / ١٠٢٠

## أخلاق

"أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ.."

## إبراهيم بن علي الريني

إن من الصفات الذميمة التي ينبغي للمسلم الحذر من الاتصاف بها ، والتي جاء الشرع بذمها صفة الحسد . ذلك لأن الحاسد عدو لنعمة الله، متسخط لقضائه، غير راض بقسمته بين عباده . والحسد أول ذنب عصي الله به في السماء حين حسد إبليس أبانا آدم وزوجه وهو أول ذنب عصي الله به في الأرض حين حسد ابن آدم أخيه حتى قتله .

قال الشاعر: **فَلَمَّا دَعَهُ إِلَيْهِ بَنْتُ الْمَحْسُودِ قَالَ لَهُ أَبُوهُ الْلَّيْثِ السَّمْرَقَنْدِيُّ:** **"يَصْلِي إِلَى الْحَاسِدِ خَمْسَ عَقَوبَاتٍ لَا يَحْمُدُ عَلَيْهَا، وَلَا يَغْلِقُ عَنْهَا بَابَ التَّوْفِيقِ"** (١).

ألا قل لمن ظل لي حاسداً أتدرى على من أساءت الأدب  
أساءت على الله في حكمه لأنك لم ترض لي ما وهب  
فأخذاك ربى بآن زادني وسدّ عليك وجوه الطالب

قال ابن المقفع : "أقل ما لثارك الحسد في تركه أن يصرف عن نفسه عذاباً ليس بعذابٍ به حظاً ولا غائط به عدواً ، فإنما لم نر ظالماً أشبه بمظلوم من الحاسد ، طول أسف ومحالفة كابة ، وشدة تحرق ، ولا ييرح زارياً على نعمة الله ولا يجد لها مَزَالاً ، ويذكر على نفسه ما به من النعمة فلا يجد لها طعمًا ولا يزال ساخطاً على من لا يترضاه ، ومتسخطاً لما لن ينال من فوقه ، فهو منْعَصُ المعيشة ، دائم السخطة ، محروم الطلبة ، لا بما قُسِّم له يقع ، ولا على ما لم يُقسِّم له يَعْلَبُ ، والمحسود يتقلب في فضل الله مباثراً للسرور منتفعاً به مُمَهَّلاً فيه إلى مدة ، ولا يقدر الناس لها على قطع وانتقاد" (٢). وإن مما يدعو للعجب من حال الحاسد أنه يحسد قرينه أو صديقه على نعمة آتاهما الله إياه مع أن كثيراً من الناس قد أتوا مثل هذه النعمة وأكبر منها ، لكنه لا يحسدهم عليها وما ذلك إلا لشيء قام في نفس الحاسد وكُرْهٌ مستقر حمله لصاحبه .

ومع أن الحسد كله سيء إلا أن أسوأه الحسد الذي يقع من طلاب العلم والدعاة تجاه أقرانهم ، وذلك لأننا لا نستغرب كثيراً أن يقع الحسد من الجهال وضعاف النفوس لقلة الإيمان في قلوبهم وقلة العلم في صدورهم ، لكننا نستغرب بل نتألم ونأسى كثيراً عندما يقع مثل هذا الأمر من أناس عرفوا شر الحسد وذمه ، وحملوا من العلم والإيمان ما كان حرياً أن يصدّهم عن مثل هذا الجرم .

ولماذا يحسد طالب العلم قرينه؟! لأنّه طلب العلم واجتهد في تحصيله في زمان قل فيه الجاذون في طلب العلم وحاز أكثر مما حاز هو؟! إن من حق هذا القرىنه أن يدعى له بال توفيق ويشد أزره ويدفع إلى المزيد من تحصيل العلم ، وليس من حقه علينا أن نتمنى زوال هذه النعمة عنه . لأننا إن فعلنا ذلك فإننا نتمنى للمجتمع أن يُسلِّب منه أحد الأفراد النافعين فيه فتكون بذلك قد تعدت جنابتنا إلى المجتمع كله .

بل لماذا يُحسَدُ الداعية النشيط الذي تأثر الناس بكلامه وتركوا ما كانوا عليه من المعاصي وسلكوا طريق الحق على يديه؟! لماذا نحسده على ذلك ونتمنى زوال هذه النعمة عنه ونحن أحوج ما نكون إلى أمثاله ، فنحرم الناس من خيره وإرشاده . بل الواجب على الحاسد أن يسعى بتمكيل نفسه والاقتداء بمن هو خير منه وبمن سبّه في مجالات الخير حتى يلحق بهم . وصدق الشاعر إذ يقول :

وَتَرَى الْبَيْبَ مُحَسَّداً لَمْ يَجْتَرِمْ      شَتَمُ الرِّجَالِ وَعَرْضُه مُشَتَّوْمٌ  
حَسَدُوا الْفَتَنِ إِذْ لَمْ يَنَالُوا سَعِيهِ      فَالْقَوْمُ أَعْدَاءُ لَهِ وَخَصُومُ  
كَضَرَائِرِ الْحَسَنَاءِ قَلْنَ لَوْجَهِهَا      حَسَداً وَظَلَمَّاً إِنَّهُ لَذَمِيمٌ

وإن من وسائل دفع الحسد واتقاء الاتصال به :

- التفكير في وافر نعمة الله على العبد والنظر إلى من هو أدنى فيكون بذلك حق النعمة الشكر لا الحسد .

- العلم بأن الحسد يفعل بالحاسد أكثر من فعله بالمحسود .

- قال أعرابي : الحسد داء منصف يفعل في الحاسد أكثر من فعله بالمحسود .

- قال الشاعر :

فَبَلِيَّ مِنَ النَّاسِ أَهْلَ الْفَضْلِ قَدْ حَسَدُوا  
وَمَا تَأْثِرُنَا غَيْظَاً بِمَا يَجِدُ      إِنْ تَحْسُدُنِي فَإِنِّي لَا أَلُومَكَمْ  
فَدَامَ لِي وَلَكُمْ مَا بِي وَبِكُمْ      دُعَاءُ اللَّهِ بِصَدْقَ أَنْ يَطْهِرَ الْقَلْبَ مِنَ الْحَسَدِ

أسأل الله العظيم أن يطهر قلوبنا من الحسد ، وأعمالنا من الرياء ، وأعيننا من الخيانة ، وأن يصلح أحوالنا وذات بيتنا .

**الهوامش :**

١- المستطرف من كل فن مستطرف : شهاب الدين محمد بن أحمد الأ بشيبي ٤٥٧،/١

## إدارة معرفة الرجال من سمات القيادة الناجحة

سامي سلمان

إن من مسلمات الإدارة الناجحة القدرة على الاستفادة من مكامن التفوق، والتميز لدى المرؤوسين بأفضل ما يمكن ، ولكن يتحقق هذا كان لزاماً على القادة والرؤساء ضرورة معرفة وتمييز هذه المكامن لدى مرؤوسيهم ، وهو ما نعنيه بمعرفة الرجال .

إن توفر الرجال (أولاً) ، والقدرة على- توظيفهم لخدمة أهداف رسمها لهم القادة (ثانياً) ، لهما طرفاً المعادلة الإدارية التي ينتج عنها نجاح القادة ، وكلما أحسن المادة الاستفادة من هذا التوظيف كلما نتج عنه تفوق ونجاح . ومن هنا اعتبرت القيادة فناً صعباً لارتباطها بالعنصر البشري الذي يصعب تحليله وفهمه ببساطة كما هو الحال في العناصر الكيميائية الطبيعية . ومن خلال هذا التصور يمكننا فهم صورة العلاقة بين نجاح القادة، وبين قدرتهم على معرفة الرجال . وينبغي ألا ننسى أن نجاح القادة ينتج عنه تحقيق لأهدافهم في الواقع .

كتبت إحدى أكبر المنظمات العالمية هذه الكلمات لتعبر عن سر نجاحها وتفوقيها : "لقد حققنا هذا النجاح من خلال تنظيم إداري وجو عمل يساعدان على اجتذاب أفضل الكوادر البشرية ، وتطوير وشحذ المواهب الفردية .." .

ونلحظ في هذه الكلمات عنصرين أساسين :  
العنصر الأول : اجتذاب أفضل الكوادر البشرية .  
العنصر الثاني : تطوير وشحذ المواهب الفردية .

ولا شك أنه ليس من الممكن تحقيق هذين العنصرين دون القدرة على معرفة الرجال .  
تثبت عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : "أرأف أمتي بأمتى أبو بكر ، وأشدهم في دين الله عمر ، وأصدقهم حياءً عثمان ، وأقضاهم علي ، وأفرضهم زيد بن ثابت ، وأقرؤهم أبي ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، ألا وإن لكل أمة أميناً وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح" (١) . إن من أسرار العظمة التي تمتع بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قدرته على معرفة رجاله، وحسن توظيفه لهم ، كلاً حسب قدرته ومواهبه، يقول أحد المفكرين: "إن معرفة الرجال بعمق من أدق أعمال الرئيس وأكثرها تأثيراً ، إنها ينبعو القوة التي يملكونها ، إنها سر الرؤساء العظام" (٢) . ومن المفيد هنا أن نحل عظم الفائدة التي يجنيها القائد المتمكن من معرفة الرجال .

أولاً: إن معرفة الرجال هي الطريق الأمثل لحسن توظيفهم ووضعهم في المكان الذي يمكنهم أن يقدموا أفضل ما يكون في أنفسهم لخدمة أهدافهم .

ثانياً: إن توظيف المرؤوسين في مكانهم المناسب هو الحافز الحقيقي لإيجاد روح الاستمرارية والعطاء للأفراد، حيث يحقق الأفراد ذاتهم بتميزهم وتفوقهم من خلال إمكاناتهم الحقيقة .  
ثالثاً: إن القدرة على الارقاء والإبداع لمن وضعوا في المكان المناسب نتيجة إمكاناتهم هو ما أثبته الواقع والتجارب الحية ، مما ينعكس على تمييز التنظيم الذي يسير خلف القائد الناجح .

رابعاً : إن الإرباك وقلة الخبرة التي يظهرها أولئك الذين لم يتمكن المسؤولون من حسن توظيفهم لقلة معرفتهم بحقيقةتهم ، هي إحدى السلبيات التي يمكن القائد الناجح تقاديرها نتيجة معرفته برجاله .

خامساً : إن سد الثغرات بالمرؤوسين الأكفاء الذين أحسن القائد انتقاءهم يمكنه من التفرغ والمراقبة عن كثب لمن هم بحاجة إلى توجيهه ، وبهذا يستطيع من خلال معرفته للرجال سد الثغرات ، والارتقاء بالآخرين دون عناء .

سادساً : إن درجة سيطرة القائد والرئيس على رجاله عملية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمدى تفهمه لشخصياتهم ، ونفسياتهم ، وقدراتهم ، ولذلك فهو لا يستطيع أن يقدر حجم المهام أو مستوى التكليف أو حدود الاستطاعة التي إذا تجاوزها تعرض الانضباط للمخالفة دون أن يتمكن من معرفتهم حق المعرفة .

سابعاً : إن الاستعداد الذي يبديه المرؤوسون بالتعايش وبث الآلام وطلب المساعدة لأولئك الرؤساء الذين استطاعوا فهمهم ومعرفتهم لهو أكبر بكثير مما يبديه من لم يستطيع رؤساؤهم تخمين ما يدور في رؤوس من يقودونهم ومن هنا يستطيع القادة احتواء غيرهم بمعرفة أسرارهم ، وألامهم والعمل على القيام بدور الموجه والناسخ لهم ، بعد أن امتلكوا قلوب مرؤوسיהם .

ولنقف وقفة مع هذا النص من واقع الخليفة الثاني : "كان الخليفة عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، يشاور أفضال الرجال في تعين كبار موظفيه ، فقال لهم يوماً : أشيروا علي ودلوني على رجل استعمله في أمر قد دهمني ، فقولوا ما عندكم ، فإني أريد رجلاً إذا كان في القوم وليس أميرهم كان كأنه أميرهم وإذا كان فيهم وهو أميرهم كان كأنه واحد منهم ، فقالوا : نرى لهذه الصفة الربيع ابن زياد الحارثي ، فأحضره وولاه فوفق في عمله وقام فيه بما أربى على رجاء عمر وزاد عليه ، فشكر عمر لمن أشاروا عليه بولاية الربيع" (٣) .

والناظر في هذا النص من خلال ما سبق وقدمناه من أهمية معرفة الرجال يلمس الجوانب التالية :

١- فهم عمر - رضي الله عنه - لأهمية اختيار الرجال ومعرفتهم وذلك من خلال تشاوره مع أفضال الرجال في تعين كبار موظفيه .

٢- حرصه - رضي الله عنه - على وضع الرجل المناسب في المكان المناسب فقد بين لمن استشاره صفات الرجل الذي يريد ، حتى يتمكنوا من اختيار من يوافق هذه الصفات ليحقق هدف عمر .

٣- حكمته - رضي الله عنه - في معرفة الرجال من خلال مواقفهم وتصرفاتهم ، لا من خلال أقوالهم وما يقال عنهم ، فقد استطاع أن يجسّد في نظر مستشاريه مثال الرجل الحي الذي يريد .

وأخيراً بهذه المعاني المتقدمة تستطيع أن تفهم سر المواقف التالية :

١- يحكم على المرؤوسين بالذكاء والإنتاجية في مكان ما ثم يكتشف بأن لديه طاقات كامنة من رئيس جديد .

٢- يصف أحد الرؤوساء مرؤوساً بأنه جيد ويصفه الآخر بأنه سيء .

٣- يهمل المرؤوس لأنه لا يصلح لشيء البتة ، ثم يكتشف بأن لديه طاقات كامنة من رئيس جديد .

٤- يبذل المرؤوس ويعطي عطاء أفضل عند رئيسه الجديد أكثر مما كان يفعل مع رئيسه القديم . وليس هناك من تبرير جيد إلا أن أحدهم أحسن القيادة بمعرفته مرؤوسه والآخر فشل في ذلك .

### الهوامش :

١- سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ١٢٢٤

٢- فن القيادة ص ٣٢٠

٣- أقوال في الإدارة - إبراهيم عبد الله المنيف - دار العلوم للطباعة والنشر - ١٤٠٣ هـ .

## تأملات في واقع الحياة جاد الفاجر وضعف التقى

## محمد الناصر

يروى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أنه قال : "اللهم إني أشكو إليك جلد الفاجر وضعف التقى" . فإذا كان أمير المؤمنين في زمانه قد شكا من هذا الأمر فماذا نقول نحن أبناء هذا العصر؟!

لقد كان حرص الخليفة شديداً في اختيار الرجال وفي تمييز أصحاب الكفاءات ، ليطبق شرع الله كاملاً ، ويحوله إلى واقع عملي ملموس على أيدي أصحابه وقد تحقق له ذلك بفضل الله تعالى . هذه المقوله تصور لنا صنفين من الناس :

- \* جَلَدُ الْفَاجِرِ وَصَبْرُهُ وَدَأْبُهُ، وَتَعَاوُنُهُ مَعَ أَمْثَالِهِ لِتَحْقِيقِ مَا تَصْبِيُ إِلَيْهِ نُفُوسُهُمْ مِنْ أَهْدَافٍ.
- \* وَطَبِيَّةُ قَلْبِ التَّقِيِّ وَحَسْنُ الظَّنِّ لَدِيهِ زِيَادَةٌ عَنِ الْحَدِّ الْمَطْلُوبِ ثُمَّ التَّوَاکُلُ وَعَدْمُ التَّعَاوُنِ مَعَ أَمْثَالِهِ فِي أَغْلَبِ الْحَالَاتِ.

وها نحن في هذا العصر نرى قوة أهل الباطل وتعاونهم بينما نجد أن أهل الخير والصلاح متباعدين ، لا يأخذ التعاون من أنفسهم اهتماماً جاداً وإذا بدأوا مثلاً بمشروع خيري أو مؤسسة طيبة الأهداف ، فقلما يستمرون فيها، بل ربما آلت إلى بعض الأفراد من الصنف الأول بسبب جلد هذا الصنف وإتقانه أسلوب التلون مستغلًا حسن الظن أو التقاус عند الناس الطيبين .

ومنذ مطلع هذا القرن الميلادي ، نلاحظ أن أعداء الإسلام قد خططوا لحربنا ، ونجحوا في تحقيق كثير من أهدافهم مع الأسف . فالنصارى مثلاً دأبوا على تنصير أبناء المسلمين مستغلين الفقر والجهل والمرض باذلين الأموال في سبيل هذا الغرض . وإذا لم ينجحوا في تحويل أبناء المسلمين إلى النصرانية فقد شكواهم في صلاحية دينهم وهيمنته على حياتهم.. وإذا سألت عن أموال المسلمين ، فربما وجدتها تصب في مصالح أعدائهم قصداً أو دون قصد . وكان أهل الباطل قد جندوا قواهم في مطلع هذا القرن كذلك باسم القومية ، ورفعوا شعارات منها : أن الدين الله والوطن للجميع ، وأن الأديان يجب ألا تفرق بين أبناء الوطن الواحد..

وبعد أن خدعوا أبناء أهل السنة وشكلوا الأحزاب العلمانية ، إذا بقوائم تظهر على شكل (ميليشيات) مسلحة وقد تتكروا لشعاراتهم الخادعة ، وأعلنوها طائفية حادة ، وبات المسلمين من أهل السنة هم الطائفة المستهدفة الضعيفة ، وهذا هو لبنان خير شاهد على مأساة تتكبر في عدد من بلدان المسلمين. إن داء الغفلة ، وداء التواكل ، والتسويف المميت ، من أشد أمراض المسلمين مع الأسف في هذه الأيام رغم أن ديننا هو دين العزة والقوة والمنعة إذا تحول إلى واقع حي في نفوس أتباعه ، إذ لا بد أن يتفاعل المسلم مع أحداث أمته تفاعلاً إيجابياً ، أن يتاثر ويوثر من أجل تغيير هذا الواقع المرير.. والمسلم قوي بأخيه ، والتعاون على البر والتقوى من أهم مبادئ ديننا .

## ومنهج التربية الإسلامية

## د. مصطفى علیان

لَا مَرَاءَ فِي أَنَّ الْغَوَايَةَ وَتَبَعِيْتَهَا فِي قَوْلِ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- ((وَالشَّعَرَاءُ يَتَبَعُهُمُ الْغَاوُونَ)) [سورة الشعراة الآية ٢٢٤] صفة ذات التصاق بالشاعر وشعره ، من حيث نوعيته المبانية للصدق الأخلاقي ، المارقة عن موقف الحق الثابت ومنهجه المطرد القويم ، أو من حيث أهدافه التي تثير الأحقاد ، وتغزو الفتن ، وتبعد الغرائز ، وترغب في فعل المنكرات ، وتهون من ارتكابها.. وما إلى ذلك من أضرب الفساد وفنون الإغواء .

ولا يبتعد من راوية الشعر وروايته عن تبعية هذه الغواية إذا كان الراوية رديفاً مشائعاً للشاعر في صفات شعره النوعية، وظهيراً مسانداً لأهدافه الفكرية ، إذ أن الرواية نشاط فكري يتجاوز حدود النقل والضبط والاتقان إلى الاستمالة والتأثير ، بما يحكم الرواية انتخابه من شعر ، وبما يبرع في استخدامه من وسائل فنية في عملية التواصل والتوصيل بين المنتج والمتلقي .

ولخطورة هذا المجال الذي يجري فيه نشاط الراوية ، خلع عبد الله بن عباس -رضي الله تعالى عنه- الغواية عليه ، وخصه بها حين قال : "الغاوون هم رواة الشعر" (١) .. أما الشعر الذي يحمل الخير ويعضد فعله ، أو يزين الحق ويرغب في اتباعه ، أو يرشد سلوك الإنسان وينظم علاقته مع الناس والحياة والكون ، على أساس من حب المودة ، بلا صراع ، أو عداء أو قلق أو حيرة أو شك ، فإنه مرغوب في قوله ، محضوض على روايته وحفظه. فقد كتب عمر بن الخطاب -رضي الله تعالى عنه- إلى ساكني الأمصار : "أما بعد فلعلوا أولادكم العوم والفروسية، ورووهم ما سار من المثل وحسن من الشعر" (٢) .

وإذا كان الحسن الذي هو اسم جامع لكل شرف وفضيلة قد جاء في هذه الرسالة مجملًا موجزاً ، فإن تفسيراً لأبعاده ، وتعزيزاً لروايته ، نجده في رسالة أخرى بعث بها عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري -رضي الله تعالى عنه- ، قال فيها: "مُرْ مِنْ قَبْلَكَ بِتَعْلِمِ الشِّعْرِ ، فَإِنَّهُ يَحْلُّ عَقْدَ اللِّسَانِ ، وَيَشْجَعُ قَلْبَ الْجَبَانِ ، وَيُطْلِقُ يَدَ الْبَخِيلِ ، وَيُحَضِّرُ عَلَى الْخَلْقِ الْجَمِيلِ" (٣) .

ولنا أن نعد هاتين الرسالتين الديوانيتين ، الصادرتين عن أمر الخليفة الراشد ، وثيقتين هامتين في اعتماد الأدب ، خاصة الشعر ، عنصراً هاماً في تربية الجيل المسلم وتنشئته . على أن فيهما ما يرتفع بأهمية هذا العنصر وقيمة في منهج إعداد الفرد المسلم ، إذ قرن التوجيه الرسمي في الرسالة الأولى تَعَلُّمَ الشِّعْرِ بـمَهَارَةِ الْفَرَوْسِيَّةِ . الفروسيّة والعلوم ، وفي هذا من الوعي بضرورة توازن أهداف المنهج التربوي ما لا يخفى ، فهو كما يهدف إلى إعداد الفرد جسمياً لا يغفل عن تعهده عقلياً وفكرياً ونفسياً ، مهما يكن شأن الحياة الجديدة وتبدل أحوالها ، وتتدفق خبراتها ، وتعدد متغيراتها الحضارية والاجتماعية .

فرواية الشعر والاجتهاد في تعلمه أمر مستحب في أبسط فهم للأمرية في مطلب الخليفة الراشد - رضي الله عنه- ، وقد يرتفع التوجيه والإرشاد في معناه إلى منزلة يقترب فيها من الوجوب ، إذا نظرنا إلى وقوع الأمر بالتساوي على تعلم الشعر . واكتساب مرانة عدتي الحرب ؛ العوم والفروسيّة . وقد يرشح هذا الفهم بالوجوب ، أن بعض العلماء عد قسماً من الشعر واجب الرواية لما فيه من الخير (٤) .

ولا يزال الحض على تعلم الشعر وروايته أثيراً بأبعاده الأخلاقية وأهدافه السلوكية عند خلفاء بني أمية ومن وعى هذا المنهج . فقد بعث زياد بن أبيه بولده إلى معاوية بن أبي سفيان فكاشفه عن فنون من العلم فوجده عالماً بكل ما سأله عنه، ثم استنشده الشعر فقال: لم أرو منه شيئاً ، فكتب

معاوية إلى زياد يقول : "ما منعك أن تُرَوِّيَهُ الشعر فوالله إن كان العاق ليرويه فَيَبَرُّ ، وإن كان البخيل ليرويه فيسخو ، وإن كان الجبان ليرويه فيقاتل"(٥). وفي وصية معاوية ل زياد كذلك ، أدرك الآثار التعليمية لرواية الشعر في تحقيق المهارات اللغوية في قوامة اللسان وفصاحة منطقه ، والقدرة على تدفق التعبير وطلاقته ، ومرونة استيعابه لعمق الفكر ، وسعة أفق العقل ، يقول : "رَوَهُ فصيح الشِّعْرُ ، فَإِنَّهُ يَفْصِحُ الْعُقْلَ ، وَيَفْصِحُ الْمَنْطَقَ ، وَيَطْلُقُ الْلِّسَانَ"(٦).

أما عبد الملك بن مروان فقد جعل رواية الشعر مقوماً هاماً في بناء شخصية المتعلم ومظهراً دالاً على رفعة منزلته ، إذ يقول لمؤدب ولده : "رَوَهُ الشِّعْرَ يَمْجُدُوا وَيَنْجُدُوا"(٧).

وزاد ذلك تنبيهاً إلى إحدى الوسائل المعينة على تحقيق بعض أهداف رواية الشعر ، حين خص بالعناية الشعر الرقيق في لغته ، البسيط في تعبيره ، قال عبد الملك : "أَدَبُهُمْ بِرَوَايَةِ شِعْرِ الْأَعْشَى ، فَإِنَّ لِكَلَامِهِ عَذْوَبَة"(٨) ، مصيباً بذلك أثره النفسي ، إذ في سهولته ما يُحَسِّنُ موقعه من القلب، وفي عذوبته ما يعين على عظم غناه في النفس وسرعة تحصيله في الذهن.

بهذه الأخبار المقتضبة يمكن القول إن منهج تعليم الشعر في القرن الأول الهجري منهج سلوكي وظيفي ، كما يعنى بقوامة اللسان وفصاحة تعبيره ، فإنه يعنى بترشيد سلوك المتعلم وغراائزه . فهو منهج تربوي تكاملى ، فيه التعلم والسلوك قرینان متلازمان ، وبقدر ما في هذا المنهج من أصالة ، فإن فيه إدراكاً عميقاً سابقاً لإدراكنا الحديث في أن التعلم القويم النافع هو الذي يترك أثراً في المتعلم ؛ سلوكه وعقله .

### النسبة والتناسب في الرواية

ومن المسلمات الثابتة التي لا تمس بحال ، أن رواية الشعر في منهج التعليم لا ينبغي أن تقاييس بمحفوظ المسلم من القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف ، بل إن الاقتصار في محفوظ المتعلم على رواية الشعر يوقع في قبح الصنائع الذى جاء حديث الرسول -عليه الصلاة والسلام- مصوراً له في قوله : "لَئِنْ يَمْتَلَئُ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قِيْحَاً حَتَّىٰ يُرِيهِ خَيْرٌ لَهُ مَنْ أَنْ يَمْتَلَئُ شَعْرَأً"(٩) .

ويوضح حدود النسبة والتناسب في هذا الأمر موقف علي بن أبي طالب -رضي الله تعالى عنه- من غالب بن صعصعة وابنه الفرزدق ، وقد سأله عن الغلام فقال: هذا ابني ، قال: ما اسمه قال : همام ، وقد روته الشعر يا أمير المؤمنين وكلام العرب ، ويوشك أن يكون شاعراً مجيداً . قال علي بن أبي طالب : "عَلِمَهُ الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الشِّعْرِ"(١٠) . فقد أحس علي بقصور منهج غالب في تربية ابنه وتعليمه ، فضلاً عن مفاخرته وسروره بقرب ولادته الشعرية ، فأرشده - منبهأً له على تقويته - إلى خير ما يملا قلب ابنه ووجانه ، وأصدق ما يجري على لسانه ؛ إلى آيات الله البينات المحكمات . ووقع صدق توجيهه أمير المؤمنين في قلب الفرزدق وعقله ، فقييد نفسه وآلى ألا يحل قيده حتى يحفظ القرآن فكان له ما أراد(١١) .

فمن التقويظ إذاً أن يقتصر محفوظ المتعلم في منهج التعلم على رواية الشعر ، مهما تكون المبالغة في قيمته الأخلاقية والسلوكية ، إلا أن من الإفراط كذلك إهمال رواية الشعر من محصول المتعلم ، لأن للشعر أثراً غير منكر في صياغة ذوق المتعلم وتوجيهه سلوكه والتسامي به .

فقد روي أن معاوية بن أبي سفيان سأله عبد الله بن زياد عما يروي من الشعر فقال : كرهت أن أجمع كلام الله وكلام الشيطان في صدرى . قال معاوية : اغرب ، والله لقد وضع رجل في الركاب يوم صفين مراراً ، ما يمنعني من الانهزام إلا أبيات ابن الإطناية حين يقول :

أَبْتَ لِي عَفْتَيْ وَأَبْيَ بَلَائِي  
وَأَخْذِي الْحَمْدَ بِالثَّمَنِ الْرَّبِيع  
وَإِقْدَامِي عَلَى الْمَكْرُوهِ نَفْسِي  
مَكَانِكَ تَحْمِدِي أَوْ تَسْتَرِيحِي  
وَقُولِي كَلَما جَشَّاتْ وَجَاشَتْ:

وأحمرى بعد عن عرض صحيح (١٢)

لأدفع عن مآثر مصالحات

**المطلق والمقيد في الرواية**

رواية الشعر في مجال التعلم مطلقة غير مقيدة ، شريطة أن يكون للراوية موقف إيجابي مما يرويه ؛ لأن هذا الموقف مخرج له من قبول ما يروي من شعر فاسد أو منحرف في تصوره الفكري . ويستوي في ذلك المعلم والمتعلم ، إذ كلاهما مرتب بالعملية التعليمية التعلمية التي من أهدافها عدم قبول المعصية أو التحرير على نفسها .

وإذا كان ناقل الكفر ليس بكافر ما دام ملتزماً بالشرط الذي قدمنا والغاية التي حددنا ، فرواية الشعر في مجال التعليم لا تزيد عن كونها ترداداً لألفاظ الشعر وتكراراً لها ، فهي مباحة إذا نبه الراوية على مواضع الانحراف فيها ، من كفر أو فحش أو فساد . ومن نافق البيان أن نلتفت النظر إلى أن الوزر في هذا الشعر المنحرف عن جادة القوامة إنما يقع على قائله لا على راويته .

أما رواية الشعر للمتعة الفنية فقائمة على نوعية الشعر ، حيث أن حسنه حسن ، وقيمه قبيح ، فهو كسائر الكلام فما كان فيه لمسلم أذى فهو مما لا يباح راويته ، لأن من قال في الإسلام شعراً مقدعاً فلسانه هدر ، ومن روى هجاء مقدعاً فهو أحد الشاتمين .

وترخص ابن قتيبة - وهو من علماء السلف - في رواية ما كان رفقاً لخروجه عن حدود الإثم ، وفرق بين روايته وما يحرم من شعر جرير والفرزدق في الهجاء وقذف المحسنات فقال : "وإذا مر في حديث فيه إفصاح بذكر عورة أو فرج أو وصف فاحشة فلا يحملنك الخشوع والتداش على أن تصير خذك ، وتُعرض بوجهك ، فإن أسماء الأعضاء لا تؤثم ، وإنما المأثم في شتم الأعراض وقول الزور والكذب وأكل لحوم الناس بالغيب" ..

وأدرك ابن قتيبة بترخيصه رواية هذا اللون من الشعر النزوع النفسي نحوه ، والميل الفطري للطبع إلى ، دون أن يكون في ذلك مساس بدرجة تقوى المرء أو صلاحه ، إلا أنه لم يترك رواية الرفت مطلقة غير مقيدة ، بل جعل الرخصة فيه محدودة بالغليل العارض ، وبالرواية التي تنقص رونقها الحكاية ، ويده بجمالها التعریض فقال : "ولم أترخص لك في إرسال اللسان بالرفث على أن تجعله هجراك على كل حال ، وديدنك في كل مقال ، بل الترخص مني فيه عند حكاية تحكيها أو رواية ترويها ، تُقصُّها الكنية ويده بحلوتها التعریض ، وأحببت أن تجري في القليل على عادة السلف الصالح في إرسال النفس على السجية ، والرغبة بها عن لبسة الرياء والتصنع ، ولا تستشعر أن القوم قارفوا وتنزّهت ، وتلموا أديانهم وتورعت" (١٣) .

ولا تعارض بين المتعة الفنية والفائدة العلمية ، بل لا فصل بينهما في مجال الرواية ، على الرغم من أن المتعة لا تكون كاملة إذا لم تكن خالصة لذاتها ؛ لأن الفصل بينهما أمر مجاف لطبيعة التذوق الأدبي وحقيقة النقد الأدبي ، الذي تأتي فيه الفائدة العلمية نتاجاً حتمياً لتعتمد المتعة الفنية .

وإذا كان الأمر بهذا التلازم فإننا نميل إلى القول بأن قيد الموقف الإيجابي الذي قيدنا به إطلاق الرواية التعليمية يُحُسْنُ ألا يتخلى الراوية عنه في مجال المتعة الفنية ، فقد روى البخاري عن إسحاق قال حدثنا محمد بن الفضل قال حدثنا الوليد بن جمیع عن أبي سلمة عن عبد الرحمن قال : "لم يكن أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - متحزقين ولا متماوتين وكانوا يتناشدون الشعر في مجالسهم وينذرون أمر جاهليتهم ، فإذا أربد أحد منهم على شيء من أمر الله دارت حماليق عينيه كأنه مجنون" (١٤) ، ولا شك أن دوران حماليق العينين موقف تعبيري عن السخط والرفض . ويزيد هذا الأمر وضوحاً موقف عبد الله بن عمر ابن الخطاب من إيس بن خيثمة حين قال له : "ألا أنسدك من شعري يا ابن الفاروق قال : بل ، ولكن لا تنسدني إلا حسناً ، فأنسدته حتى إذا بلغ شيئاً كرهه ابن عمر قال له : أمسك" (١٥) .

ولما كان حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "ما كان الحباء في شيء إلا زانه ، ولا كان الفحش في شيء إلا شانه" (١٦) ، فقد قال هشام بن عروة : "لا ترورو فتيانك شعر عمر بن أبي ربيعة لا يتورط في الزنا تورطا" (١٧) ، وحرص كذلك عبد الله بن مصعب ألا يدخل شعر عمر بن أبي ربيعة على نسائه تجنباً للفتنة التي بعثها شعره . تقول فاطمة بنت عمر بن مصعب : "مررت بعدد الله بن مصعب وأنا داخلة منزله وهو بفائه ، ومعي دفتر ، فقال ما هذا معك ؟ ودعاني فجئته وقلت : شعر عمر بن أبي ربيعة ، فقال وبحك ! أتدخلين على النساء بشعر عمر بن أبي ربيعة ، إن لشعره لموقعاً من القلوب ومدخلاً طيفاً ، لو كان شعر يسحر لكان هو ، فارجعي به ، قالت : ففعلت" (١٨) . وصفوة القول : إن روایة الشعر بأهدافها المعرفية والسلوكية تحتل جزءاً هاماً في منهج التربية الإسلامية ، وهي مطلقة في التعليم والإمتاع إلا من قيد العقيدة ، الذي يوجب على الرواية أن يبرأ لدینه ونفسه ، بموقف ينكر فيه ما انحرف أو فسد من الشعر المروي .

**الهوامش :**

- ١- سورة الشعراء لآلية ٢٢٤-٢٢٧ .
- ٢- جامع البيان في تفسير القرآن للطبرى ، ط دار المعرفة بيروت ، ١٩١٩/٧٨ .
- ٣- البيان والتبيين للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط مكتبة الخانجي ، ٢٠١٨/١٨٠ .
- ٤- العمدة في صناعة الشعر ونقده لابن رشيق القيرواني ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ط المكتبة التجارية - القاهرة ١/٣٠ .
- ٥- فتح القدير للشوكاني ، ط مكتبة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة ، الثانية ١٩٦٤/٤١٢١ .
- ٦- العقد الفريد لابن عبد ربه ، تحقيق محمد سعيد العريان ، ط الاستقامة ١٩٥٣/٦١٢٥ .
- ٧- ديوان المعانى لأبى هلال العسكرى ، ١١٤/١ ، نشر مكتبة الأندلس - بغداد .
- ٨- الأدب المفرد للبخارى ، ط دار البارز ، مكة المكرمة ص ١٢٧ ، والمزهر للسيوطى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ٢/٩٣٠-٣٠٩ .
- ٩- جمهرة أشعار العرب ، ط دار صادر بيروت ، ص ٦٣ .
- ١٠- خزانة الأدب لعبد القادر البغدادي ، ط بولاق ، ١٠٦/١ ، ومعجم الشعراء ص ٤٦٦ .
- ١١- معجم الشعراء ، للمرزباني ، ص ٤٦٦ .
- ١٢- المزهر للسيوطى ٢/٣١٠-٣١١ .
- ١٣- المصدر نفسه ج ١ المقدمة ص م .
- ١٤- الأدب المفرد ص ٨١ .
- ١٥- المصدر نفسه ص ٨٨ .
- ١٦- المصدر نفسه ص ١٢٦ .
- ١٧- الأغاني لأبى فرج الأصفهانى ، ط وزارة الثقافة والإرشاد بمصر ، ١/٧٤ .
- ١٨- المصدر نفسه ١/٧٨ .

---

**رسالة عزاء إلى البوسنة والهرسك**

**محمد بن عائض القرني**

جرد السيف وألق القلماهذه البوسنة تنتال دما  
ذبح الصرب بها إخوتنا هتكوا العرض ، أباحوا الحرما

فخذوا الجد سبيلاً أمماً<sup>(١)</sup>  
قُمَّ المجد وسِرُوا قَدْمَا  
مِنْ لَظَى الْقُوَّةِ يَجْرِي حَمْمَا  
يَرْتَدِيهِ الْأَفْقَ أَرْضًا وَسَمَا  
طَفْحَ الْكَيْلِ سَئَمَا السَّلَمَا  
وَبَدَا مِنْ أَمْرِكُمْ مَا كُتِّمَا !!  
يَزْرَعُ الْخُوفَ بِهَا وَالْأَلْمَا  
يَقْتُلُ الْعَزْمَ يَمْيِيتُ الْقِيَمَا  
عَظِيمُ الْقِيدِ وَأَدْمِي الْقَدْمَا

فَلَكُمْ ذَقْتُ الْأَسْى وَالْنَّدْمَا  
فَلَكُمْ نَادِيَتْ .. وَامْعَنْصَمَا  
فِي بَهِ النَّصْرِ عَلَى مَنْ ظَلَّمَا !!  
هَلْ رَأَيْتُ الْلَّيْثَ لَمَا كُلَّمَا !!  
أَنْ سَيْفُ الْحَقِّ لَنْ يَنْثَلِمَا  
إِنَّهَا فِي سَاعَةِ الرُّوعِ دَمِي  
سَلَمَتْ كَابِلَ قَلْبًا وَفَمَا

خَفَقَتْ عَالِيَّةُ رَأَيْتَهَا وَتَوَلَّى خَصْمَهَا مِنْهُزَمَا  
مَثِيلُ الْعَزَّةِ يَا قَدُوتَنَا كَلِّمَا زَمْجَرَ هُولَ وَطَمَى  
الْدَمُ الْحَرُّ عَلَى تَرْبَتَهَا لَمْ يَدْعُ فِي قَلْبِ حَرْسَقَمَا  
وَبَلَاءُ الصَّيْدِ فِي مَحْنَتَهَا جَذْوَةُ تَوْقِدُ فِي نَا الشَّمَمَا

ذَكَرِي يَا أَخْتَ بَدْرَ ذَمَّا غَدَرَ النَّاسُ وَخَانُوا الْذَمَّا  
ذَكَرِي نَاسِئَةُ الْجَيْلِ فَمَا يَكْشِفُ الْجَهَلُ سَوْيَ مِنْ عَلَمَا

أَوْقَدِي مِنْ عَزْمَكَ الصَّارِمِ مَا يَبْعَدُ الْهَمُّ وَيَذْكُرُ الْهَمُّا  
فَسَبَقَى لِلْمَعْالِي قِيمَمَا قَبْسَ الْوَحْيِ يَبْيَدُ الْظُّلَمَّا

سَفَرَ الْبَاطِلُ عَنْ سَحْنَتَهِ  
وَارْفَعُوا أَلْوَيَةَ الْحَقِّ عَلَى  
لَا يَصُونُ الْحَقِّ إِلَّا وَهَجْ  
لَا يَجْلِي الْحَقِّ إِلَّا رَهَجْ  
أَبِيهَا الصَّرْبُ رَوِيدًا فَلَقَدْ  
ظَهَرَتْ أَحْقَادُكُمْ سَافِرَة  
أَطْبَقَ الْكَفَرَ عَلَى أَمْتَنَا  
يَسْرُقُ الْلَّاقِمَةَ مِنْ صَبَيْتَهَا  
فَانْهَضَيْ يَا أَمَّةُ الْحَقِّ فَقَدْ  
تَلَكَ أَشْتَاتَكُمْ مِنْ يَجْمِعُهَا وَأَمَّتِي هَلْ لَكُمْ مَسَانِدِ  
أَمَّتِي هَلْ لَكُمْ مَعْتَصَمَ  
جَرْبِي الْذَرْوَةَ<sup>(٢)</sup> فِي مَلْتَنَا  
إِنَّهُ الْمَارِدُ مَا أَرْوَعَهُ!  
حَطَمَيْ صَلْبَانَهُمْ وَاثْقَة  
دَمْرَيْ أَوْثَانَهُمْ صَامِدَة  
وَاسْأَلَيْ كَابِلَ فِي زَيْنَتَهَا  
خَفَقَتْ عَالِيَّةُ رَأَيْتَهَا وَتَوَلَّى خَصْمَهَا مِنْهُزَمَا

الْدَمُ الْحَرُّ عَلَى تَرْبَتَهَا لَمْ يَدْعُ فِي قَلْبِ حَرْسَقَمَا  
وَبَلَاءُ الصَّيْدِ فِي مَحْنَتَهَا جَذْوَةُ تَوْقِدُ فِي نَا الشَّمَمَا

ذَكَرِي يَا أَخْتَ بَدْرَ ذَمَّا غَدَرَ النَّاسُ وَخَانُوا الْذَمَّا  
ذَكَرِي نَاسِئَةُ الْجَيْلِ فَمَا يَكْشِفُ الْجَهَلُ سَوْيَ مِنْ عَلَمَا

أَوْقَدِي مِنْ عَزْمَكَ الصَّارِمِ مَا يَبْعَدُ الْهَمُّ وَيَذْكُرُ الْهَمُّا  
فَسَبَقَى لِلْمَعْالِي قِيمَمَا قَبْسَ الْوَحْيِ يَبْيَدُ الْظُّلَمَّا

### الهوامش :

- ١ - الأمم :قصد والسبيل الأمم : الطريق المعتدل غير المعوج ، أو القريب .
- ٢ - الجهاد ذروة سنام الإسلام

## سراييفو .. حضارة أخيرة؟

د. سعد عطية الغامدي

لَكَ اللَّهُ يَا أَخْتَ أَشْبِيلِيَّةٍ وَتَوَأْمَ كَادِيْزَ وَالْمَرْسِيَّه  
حَضَارَتَنَا.. شَادَهَا الْأَوْلَوْنَ وَأَرْسَوْا مَنَارَاتَهَا.. عَالِيَّه  
وَضَيَعُهَا صَبَيَّهَا مَتَرْفَوْنَ تَدِيرُهُمُ الْكَأْسُ وَالْجَارِيَّه

فعادت مساجدها بيعاً وآثارها.. دمناً خاوية  
لـك الله يا وهجاً في الصدور ريا كوكباً في سما بوسنية  
تعانين وحدك - يا ويحنا وتلقين أسرابهم عارية  
وتستنجدين صباح مساء وآذاننا - وقرت - واعية  
يذيبك.. ناحية .. ناحية  
وتستعر البطشة الطاغية  
وتغتصب الحرفة الزاكية  
ويطعم من جثة ذاوية  
لتذبحه ذبحة الماشية  
لأشياعهم.. وثبة ماضية  
ومؤتمر رأمه هاوية  
أمن في هيئة الأمم البالية  
ن على لهب الهجمة الضاربة  
ويـا صخرة لم تزل عاتية  
ضاً وبالوهم نلبـك العافية  
دـ كما جرـرت ذيلـها غـانية  
أـ ضـعـنـاكـ فيـ لـيـلـةـ شـاتـيةـ  
إـاـزـهـقـتـ روـحـكـ الغـالـيـةـ

## المسلمون والعالم مأساة البلقان

د. عبد الله عمر سلطان

"النظام العالمي الجديد يواجه صعوبات جمة يتمثل أخطرها في رفع اللجام عن قوى وأفكار واتجاهات ذات جذور عميقة وجدت نفسها في معزل عن ظلال الحرب الباردة التي أوقفت من انفجاراتها لنصف قرن فقط" ، هكذا خلصت المجلة الأمريكية الرصينة "فورين أفيرز" في عددها الأخير وهي تستشرف المستقبل القادم وتتوقع ملامحه ومعالمه... وتمضي لتقول : " صحيح أن هناك قوى دولية تطمح للزعامة والقيادة كالتجمع الأوروبي واليابان وصحيح أن هناك أفكاراً متداولة تطرح تحدياً مقبلاً كالأصولية الإسلامية ؛ إلا أن أكثر المعضلات المطروحة للنقاش الآن هي ثورة الأقليات العرقية وال الحرب العنصرية التي تشهد البشرية أعنفها اليوم في يوغسلافيا" .. هذه الحرب التي تحاول المجلة الأمريكية النخبوية أن تخلط الجانب العنصري فيها بالعمق الديني المعروف هي مادة دسمة ومهمة لكثير من الدراسات والتعليقات التي تناقش مأساة المسلمين في دولة البوسنة والهرسك خصوصاً ودول البلقان عموماً..

ومنذ اليوم الأول بدأ واضحاً أن المنطقة البلقانية ستعود إلى سابق شهرتها وسمعتها لتحتل مرتبة لبنان في بشاعة التعصب والحق و ما يجره من حرب أهلية . والبلقان تمثل بؤرة التهاب دائمة ،

لأنها منطقة تماس بين قوى دولية متعددة تقتات على التباين الديني والعنصري الموجود في المنطقة . وفي نفس الآن تسعى هذه القوى الكبرى لتغذية الصراع والإفادة منه .

ولكون المنطقة البلقانية مثالية لصراع داخلي/ دولي منذ القدم فإن الحرب الباردة قد رفعت الستار عن مشهد جديد من الحرب المستمرة في منطقة البلقان منذ قرون.. ولا بد هنا من استحضار النقاط التالية عند تحليل الوضع الراهن :

\* إن منطقة البلقان هي خط الالقاء الفاصل بين ثلات عوالم دينية وقوى كبيرة في الماضي ، وأن تاريخها وواقعها صُبغ بدرجة أو بأخرى بين التفاعل والخصام بين هذه القوى المتنافرة ، فالقوة الأولى هم المسلمون في البلقان والذين نجحت عوامل التفكك والضمور الذي انتاب الدولة العثمانية في عهودها الأخيرة في تفريقهم وإضعافهم من خلال إقامة كيانات هشة هدفها الرئيسي تشتت التواجد المسلم في البلقان ومنعه من الحصول على حقوق المسلمين فضلاً عن وصولهم إلى الحكم ، وقد أضاف الحكم الشيوعي جرحاً جديداً إلى واقع المسلمين هناك حيث ظن المضطهدون أن سيادة المبادئ الماركسية كفيل بانهاء التسلط العرقي والمذهبي عن كواهيلهم ، إلا أن الحقيقة هي أن القوى الأخرى استمرت في إضعاف المسلمين من وراء اللافتة الحمراء الشيوعية ، أما القوة الأخرى فهم الأرثوذكس الذين يمثل الصرب سوادهم الأعظم وقد دعموا من روسيا القيسارية في السابق كما نصرتهم اليونان التي تدين بنفس المذهب ، وقد كان لهم دور كبير في صد الفتح الإسلامي المتوجه لأوروبا في القرون المتأخرة حيث اكتسبوا خبرة عسكرية كبيرة ورصيداً هائلاً من الحقد ضد المسلمين ، كما أنهم تقاضوا ثمن الانتصار على الدولة العثمانية من خلال سيطرتهم على دول البلقان ، واليوم تعود نفس التحالفات القديمة بعد انهيار الشيوعية ، حيث تحضرن موسكو والأرثوذكسية أبناءها في البلقان وكذلك تفعل أثينا.. أما الكاثوليك المترکزین في شمال البلقان (كرواتيا وسلوفينيا) والأقليات المتفرعة عنهم فإنهم امتداد للشمال الأوروبي المسيطر على الساحة الدولية للقرون الخمسة المنصرمة ولا سيما أن تحالفهم مع النمسا وألمانيا اليوم يضرب بجذوره إلى فترة تاريخية بعيدة .

\* إن المنطقة البلقانية لا تمثل في حساب المصالح الأمريكية اليوم مناطق اقتصادية أو سياسية استراتيجية بحد ذاتها ، لكن الرصيد التاريخي المتشابك وارتفاع الحديث عن الزحف الأخضر الإسلامي القادم في الأوساط الغربية يؤدي إلى تداعيات كثيرة لا سيما بالنسبة للدول الأوروبية التي رأت بعينها خيول وكتائب المسلمين تعبر البلقان قبل ثلاثة قرون لتحاصر "فيينا" خاصرة ورمز الحضارة الأوروبية ، ومن هنا فإن اهتمام الدول الأوروبية بالقضية له ما يبرره في حين أن ارتفاع الولايات المتحدة في التعامل مع المشكلة ينطلق من بعد يوغسلافيا عن المصالح الأمريكية المباشرة وما تمثله المنطقة للحليفات الأوروببيات من أهمية ، وإن كانت أمريكا تسعى إلى توطيد دعائم نظامها الجديد في العالم حتى في مناطق النفوذ التقليدية للحليفات الأوروببيات .

\* ونتيجة لنقل وأهمية اللاعبين الأوروبيين لا سيما المانيا فإن حلفاءهم من الكاثوليك كانوا الأقوى والأسرع إلى إقامة كياناتهم الخاصة في وجه التسلط الصربي الذي استولى على مقاليد يوغسلافيا المتهالكة لا سيما أن الصرب قد نهبو أموال الحكومة الاتحادية وقبضوا على مقاليد الجيش الاتحادي مما فجر مشاريعهم التوسعية باتجاه القوميات والأديان الأخرى.. ولكن نقول إن الكاثوليك في سلوفينيا وكرواتيا والبوسنة والهرسك خرموا بأقل عدد من الخسائر في الحرب الأهلية لوقف المانيا وأوروبا من خلفهم.. أما المسلمون فإن الواقع الأليم في العالم الإسلامي جعل من السند الخارجي لهم عاملأً هامشياً حين وجد الصرب أن الوقت قد حان لتصفية حسابهم مع "الغزاة" الذين حطموا مملكة الأمير الصربي قبل خمسة قرون .

\* إن السيناريو القائم في البوسنة والهرسك مرشح للانتقال في كل مساحة بلقانية يشعر فيها الصربي وأمثالهم أن ضربتهم القادمة في ربوتها لن تستثير ردة فعل إسلامي أو دولي حاسم ، فمناطق تواجد المسلمين في دوبلات البلقان تبقى هدفاً متعدداً للتوسيع خصوصاً إذا استمر الصمت الدولي والدعم المستتر للصربي من روسيا واليونان وربما دوبلات الاتحاد السابق التي تدين بالأرثوذكسيه .. فالمعطيات واحدة والمحصلات شبيهة لحد كبير ..

\* إن القوميتين الصربيه والكرواتية ومنذ بداية هذا القرن تعاملت مع المعطيات المحلية والإقليمية والدولية بصورة أفضل بكثير من المسلمين في البلقان ، وما كشفت عنه الأحداث الأخيرة من مذابح "وتتنظيف" بشرى للمسلمين على أيدي الصربي وما تردد عن اتفاق كرواتيا عام ١٩٣٩ .. يقول المفكر الصربي ميلوفان جيلاس أحد مؤسسي الحركة الشيوعية في يوغسلافيا سابقاً ورفيق تيتو في حرب التحرير: "إن كرواتيا وصربيا اليوم يعيidan تفاصيل أحداث ١٩٣٩ حينما توصل قادة القوميتين إلى اتفاق تقسيم البوسنة وهم اليوم يحاولون إعادة سرقة البوسنة" .. والحدث اليوم ينحصر في بشاعة أعمال الصربي أما الكروات فإن الإعلام الدولي لا يكاد يتطرق لمشروعه القومي المتعصب البهتان، جيلاس مرة أخرى : "الكروات لا يخونون أطماعهم في المناطق الغربية والجنوبية من البوسنة وهم يحملون تعصباً قومياً زاده التتعصب الديني وشعورهم بحماية أوربا" .. أما المسلمين اليوم فهم بشهادة أعدائهم : "إذا أخذنا المسلمين بشكل عام وعلى عزت بيكونيش كز عيم فهم لم يبدأوا الصدام المسلح وقد حاولوا تجنبه منذ البداية" .

\* بالرغم من كل تلك المعطيات البلقانية كان العالم يترقب من الذين تحدثوا عن "عالم يسوده الأمن والسلام" و "نظام لا يسمح للقوى أن يفرض سيطرته على الضعيف" و "مفهوم لا يفرق بين دولة كبيرة وأخرى صغيرة أمام الشرعية الدولية" أن ينقلوا هذه القوالب البلاغية إلى عالم الواقع.. كان هذا الترقب في محله والمذبحة الجماعية لمسلمي البوسنة على قدم وساق ، حتى أصبحت صور الجثث البشعة ورائحة الموت والتدمر والهلاك مساوية في الإثارة لأخبار الطقس أو كأس الأمم الأوروبية..!! هذه الأمم الأوروبية التي هبت قبل أشهر في وجه الصربي كيف تعاملت مع مأساة المسلمين في البلقان ؟؟

وهذه الشعارات الأمريكية المبشرة بنظام عالمي جديد كيف ترجمت إلى الواقع خلال مسرحية الحقد الصربي ؟؟

## النظام العالمي الجديد ومجردة البلقان

لخصت مجلة نيوزويك الصراع الأوروبي الأمريكي حول مشكلة البلقان بأنه "صراع يدعو للشماتة" وأنه حمل بذور الخلافات المستقبلية بين أمريكا وأوربا (لا سيما ألمانيا) والتي أشاحت عنها أحداث البلقان ، فالولايات المتحدة كانت تدعو منذ بداية الأحداث إلى الإبقاء على يوغسلافيا الموحدة ، لكن قادة ألمانيا والنمسا وإيطاليا (دول الطوق الكاثوليكي) خلصوا إلى ضرورة انفصال تلك المناطق ذات الكثافة الكاثوليكية عن يوغسلافيا ، وتنقل المجلة أن لورنس إيجلبرجر نائب وزير الخارجية الأمريكية كان هو عراب الفكرة الاتحادية بينما كان وزير الخارجية الألمانية السابق (غينشر) معارضًا قوياً لبقاء يوغسلافيا موحدة لدرجة أن الخلاف بين الرجلين أصبح معروفاً في الأوساط الدولية واصطبغ الخلاف بطابع شخصي "قذر" ..

وفي النهاية بدا واضحاً أن أوربا تسير خلف ألمانيا مما شكل هزيمة نكراء للسياسة الأمريكية كما تقول المجلة ، حيث ذهبت تصريحات بيكر التي أدلى بها في بلغراد والتي كانت تدعو إلى بقاء كرواتيا وسلوفاكيا ضمن سيطرة بلغراد أدراج الرياح...

لقد كانت هذه التصريحات بمثابة الضوء الأخضر (\*) "لجزار البلقان" ميلوفيتش حيث أخذ في تنفيذ سياسة الضم القسري لكرواتيا والتي فشلت بعد أن تدخلت ألمانيا والأمم المتحدة لحماية الكروات وضمان إقامة دولتهم وكيانهم الخاص ، وإن كانت هذه الإشارة قد ظهرت ملامحها بعد أسبوع قليلة عندما هاجمت قوات الصرب في البوسنة المدعومة من الجيش الاتحادي قري وتجمعات المسلمين دون أن تهرب دول الطوق الكاثوليكي أو الأمم المتحدة لوقف نزيف الدم المسلم .

إن الصراع بين ألمانيا وأمريكا في قضية البلقان هو صراع مستتر ومغلف بلهجة دبلوماسية هادئة ، وهو يصب في مجرى المحاولات الألمانية/الأوروبية للتوسيع وكسب الأسواق والتحالف في عصر انهيار الشيوعية ، وقد يكون الاهتمام الألماني بقضية الأكراد شاهد آخر على هذا التوجه الاستعماري المغلف . والألمان يدركون حتماً أن النظام العالمي الجديد يسمح لهم بالمناورة في هامش المصالح الجانبية التي لا تشكل أهدافاً أمريكية مباشرة ، والأمريكان بدورهم لا يودون التورط في كل الصراعات الإقليمية لا سيما تلك التي لا تشكل أهمية اقتصادية وعسكرية مباشرة وهامة ، كما أنهم يراهنون على فشل الدور الألماني وتدخله في الصراعات الدولية حيث ظلت ألمانيا بعيدة عن اللعبة الدولية الاستعمارية لفترة من الزمن ، فقدت خلالها كثيراً من خبراتها ومواهبها . في الوقت ذاته أثبتت الأمريكية أن الدور الألماني يبقى محدوداً ، في بدون التبني الأمريكي لقرارات الأمم المتحدة ودفعها إلى مواقف فعلية يبقى الدور الألماني هاماً وإن لم يكن حاسماً . ويبقى الدوران: الألماني العاطفي والأمريكي المتردد من نزاع البوسنة رسالة مبطنة إلى سفاحي العالم والقيادات الدكتاتورية والمنتشرة هنا وهناك تقول: "طالما أن المصالح الأمريكية والغربية مصانة فلا ضير من العداون واحتلال أراضي الآخرين ولا مانع من بقر بطون النساء واغتصابهن ، وسلح جثث الأبراء كل لحظة ، وتطاير الخوف من عيون الأطفال خصوصاً إذا كانوا من أتباع الأمة الإسلامية .. هذه الأمة الغائبة ، أو قل المُغيَّبة" .

\* هل هي صورة مكررة من تلميحات غلاسي السفيرة الأمريكية لصدام حسين ؟

## البوسنة والهرسك محنة شعب ومائدة أمة

د. يوسف الصغير  
تاريخ دخول الإسلام :

كانت قبائل إيليريه (أسلاف الألبان) تسكن في الأراضي التي تعرف اليوم بيوغسلافيا ، وفي غضون القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) أخذت قبائل صقلية تغزو هذه المناطق ، حتى قبضت على الإيليريين إلا في المناطق الجنوبية الغربية . ومعظم سكان يوغسلافيا اليوم بما فيهم المسلمين ينحدرون من هؤلاء الصقالبة ، وكانت القبائل الصقلية تنقسم إلى مجموعات أهمها الصرب الذين اعتنقو المذهب الأرثوذكسي الذي كانت تدين به الدولة البيزنطية ، والكروات والسلوفينيين الذين اعتنقو المذهب الكاثوليكي ، والشناق الذين اتبعوا المذهب البوغوميلي وكونوا الكنيسة الشناقية . وكانت الحروب الدينية الطاحنة تدور بين الصرب والكروات ، وكان مجالها

أرض البشناق التي كانت محل نزاع بين الدولتين حتى كون البشناق دولتهم في أوائل القرن السادس الهجري (عام ١١٣٧م) .

دخل العثمانيون الأراضي البشناقية لأول مرة حينما فتحوا جتيلو عام ١٣٥٣م وهزموا الجيوش النصرانية المتحالفية سنة ١٣٦٥م قرب أدرنة وبعد عدة معارك تمت هزيمة الصرب عام ٧٩٢هـ (١٣٨٩م) في معركة كوسوفو الشهيرة التي تعتبر نهاية دولة الصرب، وتم فتح بلغراد عام ١٤٥٢م ولم يفتح العثمانيون بلاد البشناق بل اكتفوا بأخذ الجزية، ولما قامت الحرب الأهلية في بلاد البشناق بسبب محاولة الملك الكاثوليكي إكراه الشعب البوغوميلي على اعتناق الكاثوليكية استتجه زعماء البوغوميل بال المسلمين فقام محمد الفاتح بفتح بلاد البشناق وأعلن أن لا إكراه في الدين، وبعد فترة بدأ البشناق بالدخول في الإسلام حتى عمهم وصاروا من أقوى أنصاره، وكانوا درعاً حصيناً للدولة الإسلامية في تلك المناطق المضطربة ، وتم استكمال فتح بلاد البشناق والهرسك سنة ١٤٨١م ثم معظم أوكرانيا سنة ١٥٢٦م ووصل العثمانيون إلى سلوفينيا عام ١٥٦٦م غير أنهم لم يفتحوها

وبعد دخول البشناق في الإسلام بدأوا عهداً جديداً وأخذوا يشيدون المدن ويعطونها طابعاً إسلامياً بمساجدها ومدارسها وأسواقها، وأهم هذه المدن سيراجيفو أو " بشناق سراي" ، وبلغت الحركة العلمية أوجها في نهاية القرن العاشر وبداية القرن الحادي عشر الهجري حيث ظهرت مؤلفات كثيرة باسم علماء بشناق ، ومع استمرار الفتوحات العثمانية استوطن المسلمون وخاصة في البوسنة كثيراً من المناطق المجاورة مثل صربيا والأجزاء الشمالية الشرقية والغربية للجبل الأسود وسلامونيا وانطبعوا كثير من المناطق بالطابع العثماني ، فعلى سبيل المثال سجل الرحالة التركي الشهير أوليا شلبي بأن المدن بودا (جزء من بودابست عاصمة هنغاريا) وستولني بيوغراد وبوجفا وأوسيك ومدن أخرى في هنغاريا وسلامونيا في القرن السابع عشر كانت تشبه المدن البوسنية تماماً وهذا في المناطق التي لم يستقر فيها العثمانيون أما المناطق التي استقروا فيها طويلاً مثل بلغراد عاصمة الصرب فيقول أوليا شلبي الذي زارها عام ١٦٠٠م : "كان سكانها ١٠٠ ألف نسمة ثلاثة أرباعهم مسلمون وكان بالمدينة ٢٧٠ مسجداً نقام في ٣٣ منها صلاة الجمعة وبها ١٧ تكية و ٨ مدارس ثانوية إسلامية و ٩ دور للحديث و ٢٧٠ من الكتاتيب القرانية .

وكانت الحرب مستعرة بين العثمانيين الذين كانوا أقوى دولة عسكرياً في ذلك الوقت وبين التحالف الصليبي في أوروبا وعلى رأسهم النمسا وال مجر (Hungary) وبولندا ، وتمكن المسلمين من فتح مناطق كثيرة وقد حاصروا فيينا عاصمة النمسا مرتين كان آخرها عام ١٠٩٥هـ (١٦٨٣م) وبعدها بدأوا في التقهقر أمام تكالب الصليبيين خاصة بعد أن بدأ الضعف يدب في أوصال الدولة ، ومع هذا التقهقر بدأت الإبادة الجماعية لل المسلمين وذلك في الحرب الكبيرة أو في حرب الدفاع عن فيينا من سنة ١٦٨٣-١٦٩٩م ففي هذه الحرب خسر العثمانيون الأراضي في هنغاريا (المجر) وبلافونيا وليكا ودالماتسا وبوكا كوترسكا .

جميع المسلمين في هذه المناطق والذين لم يتمكنوا من الانسحاب إلى البوسنة والهرسك ومناطق أخرى حولوا إلى الكاثوليكية فعلى سبيل المثال عاش في منطقة ليكا حوالي سنة ١٦٨٠م سبعة آلاف عائلة مسلمة (أكثر من ٣٠٠٠٠ فرد) وخلال الحرب اختفوا كلهم إما عن طريق التنصير الإجباري وإما عن طريق اللجوء إلى البوسنة وتدل على إقامتهم اليوم بعض أسماء الأماكن وبعض الألقاب فقط

وقد عمل النمساويون على استئثاره النصارى الصرب الذين كانوا خير عون لهم ، ونجح النمساويون في احتلال بلغراد عام ١٧١٨م وسرعان ما حولوا أول مسجد بنى في بلغراد عام ١٥٢١م إلى

كاتدرائية ولكن تمت استعادة بلغراد عام ١٧٣٨م وأعيد المسجد إلى سابق عهده. ونظراً لاستمرار التمرد الصربي في ولاية بلغراد فإن المسلمين الذين يعيشون في القرى أحسوا بانعدام الأمن فكان المسلمون مضطرين إلى الترکيز في المدن التي توجد فيها حاميات عثمانية وكان من أهداف التمرد الصربي طرد المسلمين من صربيا، وحدثت أولى حالات التصفية في الأعوام ١٧١١ - ١٧١٢ م في الجبل الأسود. وازدادت حدة التمرد الصربي الأول عام ١٨٠٧م والثاني ١٨٣٠م حيث تم الاتفاق على أن يهاجر المسلمون من صربيا (ولاية بلغراد) خلال سنة من إصداره وتم تمديده إلى خمس سنوات ولكن مع ذلك بقي عدة آلاف من المسلمين . وبعد ١٨٣٠م أصبح الوجود العثماني في صربيا رمياً ونتيجة لحرب القرم ١٨٧٦-١٨٧٨ حصلت الإمارتان ذوات الحكم الذاتي صربيا والجبل الأسود على استقلالهما عن الدولة العثمانية مع ضم بعض المناطق إليهما بموجب قرارات مؤتمر برلين ، وأيضاً حصل انقلاب آخر في أحوال المسلمين حيث قرر المؤتمر أيضاً أن يعهد إلى النمسا بإدارة البوسنة والهرسك مع الاحتفاظ بسيادة صورية للدولة العثمانية ، ولم يقبل المسلمون وبذات الحرب بينهم وبين الجيش النمساوي الذي تمكن من دخول سيراجيفو في ١٨٧٨/٨/١٩م وعلى أثرها بدأت موجة هجرة واسعة نتيجة سياسة الإفقار والتضييق الذي تمارسه قوات الاحتلال ، وكانت السلطات مرتاحه في البداية لهذه الهجرة حتى تتمكن من استعمار المنطقة وكان أغلب المهاجرين من الفلاحين ولكن الضغوط خفت لأن الإدارة انتبهت إلى أن الهجرة الجماعية للMuslimين ستؤدي إلى اختلال التوازن القومي والديني في البوسنة والهرسك لصالح العنصر الصربي مما يعقد موقف النمسا في البلقان ، وخلال أربعين سنة من الاحتلال (١٩١٨-١٨٧٨) بلغ المهاجرون بين ٣٠٠ ألف .

وأخيراً في حرب البلقان (١٩١٢-١٩١٣م) التي أشعلها الصرب تحت شعار "أن الدولة الواحدة تجمع بين الصرب وبين وإلا ستصبح البلقان مقبرة كبيرة" تم تقسيم إقليم سنجق بين صربيا والجبل الأسود وضم إقليم كوسوفو ذي الغالبية الألبانية للصرب .

### الأحداث الحالية :

تمكن الصرب عن طريق الحزب الشيوعي من التغلغل في جميع مجالات الحكم ، فأصبحوا يمثلون أكثر من ٨٠٪ من الضباط وأكثر من ٨٠٪ من السلك الدبلوماسي وممثلي الشركات اليوغسلافية في الخارج وغالب مدراء الشركات ورؤساء الجامعات وعمداء الكليات والمدرسين في جميع المراحل التعليمية . والطالب الصربي يجد منحة دراسية وسكنًا أينما ذهب ويجد عملاً بسهولة عند تخرجه بخلاف الطلاب المسلمين وغيرهم .

وتصور أحداث كوسوفو في عام ١٩٨١م وما بعدها مدى طغيان الصرب فقد كان الألبان يمثلون حوالي ٩٥٪ من السكان وهم محرومون من كل حقوقهم فنظاموا مظاهرات وإضرابات قامت السلطات الصربية بمواجهتها بعنف وحكم على ٦٠٠ شخص بالأشغال الشاقة لمدد تصل إلى عشرين عاماً ، وفصل أكثر من ٨٠ ألف عامل من وظائفهم ، وبدأ استبدال المدرسين والأطباء والمرضى الألبان بصربي ، حتى أن النساء الألبانيات بدان يلدن في البيوت خشية من قتل أولادهن أو تعقيمهن من قبل الأطباء الصرب وأصبح أكثر من ثلث السكان بدون عمل ، كما ألغيت جميع امتيازات ولاية كوسوفو ، ولم يعترف ببرلمانها الرسمي رغم موجة الديمقراطية الحديثة التي لم يستفدها الألبان شيئاً ولذلك أعلن الألبان أخيراً جمهوريتهم المستقلة عن صربيا من جانب واحد .

بعد سقوط الشيوعية العالمية تراحت قبضة الشيوعية الصربية وسمحت السلطات بنظام تعدد الأحزاب للتنافس على السلطة ، فقامت أحزاب سياسية كثيرة على مستوى يوغسلافيا ، وأسرعت كل قومية إلى تأسيس أحزابها لتحقيق مطالبها السياسية .

أسس المسلمون حزباً سياسياً سمي بحركة الجبهة الديمقراطية برئاسة الأستاذ علي عزت وعلى الرغم من أن برنامجه ليس إسلامياً للظروف المحيطة فإنه يعتبر حزب المسلمين .

ولما أجريت الانتخابات فاز الحزب الصربي الاشتراكي القومي بأكثر من ٨٠٪ من الأصوات في صربيا، وفاز الحزب الكرواتي القومي في كرواتيا ، والحزب السلفيني القومي في سلوفينيا ، والحزب المقدوني بالأغلبية في مقدونيا ، وكذلك الجبل الأسود حيث فاز الحزب الصربي القومي . أما جمهورية البوسنة والهرسك فجاءت النتائج فيها كما يلي :

\* حصل حزب المسلمين على ٣٨٪ .

\* حصل الحزب الصربي القومي على ٣٣٪ .

\* وحصل الحزب الكرواتي القومي على ١٨٪ .

فتحالفت الأحزاب الثلاثة لتشكيل الحكومة وإسقاط الحكومة الشيوعية في الجمهورية ، واختير على عزت رئيساً وتم توزيع بقية المناصب على حسب نسبة الأصوات . وتكونت حكومات قومية جديدة وكانت الحكومات في كرواتيا وسلوفينيا تقترح أن تصبح يوغسلافيا مجموع دول مستقلة ويكون الرباط بينهما شكلياً بحيث تبقى باسم دولة يوغسلافيا ، ولكن صربيا أصرت على بقاء النظام المركزي القديم للحفاظ على سيطرة الصربي مما جعل كلاً من سلوفينيا وكرواتيا تخطوان خطوات فعلية نحو الاستقلال فكونت وحدات الجيش الشعبي واشتريت الأسلحة من الخارج استعداداً للدفاع أمام هجوم الجيش الاتحادي المسير من قبل الصربي ، وأيضاً قام الصربي بتوزيع الأسلحة على الصربي مجاناً بواسطة الجيش الاتحادي في كرواتيا والبوسنة والهرسك .

وبدأت الأزمة فعلياً بإعلان سلوفينيا استقلالها ، فحاول الجيش تأديبها واندلعت المعارك مع الجيش الشعبي ، ثم تم الاتفاق على سحب الجيش الاتحادي مقابل تجميد إجراءات الاستقلال لمدة ثلاثة شهور ، كل هذا تحت ضغط الدول الأوربية .

وحصل الشيء نفسه مع كرواتيا إلا أن الحرب اتخذت أبعاداً أكبر فقد كانت الحرب أشد عنفاً وقامت الحكومة الصربي بإثارة الأقلية الصربي في كرواتيا ، وأعلنوا رفضهم استقلال كرواتيا وسعدهم للاستقلال بمناطقهم وبدأت الحرب بين الجيش الكرواتي من جهة وقوات المتطوعين الصربي يدعمهم الجيش الاتحادي عند الحاجة ، وأتم الصربي الاستيلاء على حوالي ثلث كرواتيا والتي هي ضمن نطاق صربيا الكبرى ثم جاءت قوات الأمم المتحدة للفصل بين القوات وما زالت موجودة .

وببدأ الصربي الإعداد للمرحلة الثانية من صربيا الكبرى فبدأت القوات الاتحادية المنسبة من سلوفينيا وكرواتيا تتمرکز في البوسنة والهرسك وقامت بسحب المواد الغذائية والأدوية من الأسواق توقعاً للحرب ونظرأً لتوقع المسلمين ما سيحصل فقد حاول الناس التسلح ، ولكن الحكومة لم توزع السلاح بل كان الناس يقومون ببيع ما يملكون حتى يشتروا الأسلحة ، ومقابل ذلك كانت صربيا وكرواتيا تقومان بتوزيع الأسلحة على الصربي والكروات داخل الجمهورية .

وما إن أعلن البرلمان في البوسنة الاستقلال عن يوغسلافيا إذا انفصلت سلوفينيا وكرواتيا حتى انسحب الصربي من المجلس وأعلنوا عدم اعترافهم بجمهورية البوسنة والهرسك وبعدها أعلنوا عن استقلال أجزاء من البوسنة يكثر فيها الصربي وانضمام تلك المناطق إلى صربيا الأأم . وقبل استعراض الأحداث الجارية في البوسنة والهرسك فإنه ينبغي إلقاء بعض الضوء على الوضع السياسي في جمهورية صربيا .

صربيا الكبرى:

إذا كانت الشيوعية سقطت في يوغسلافيا فإن الملاحظ أن زعماء الصربي الشيوعيين هم أنفسهم الذين يدغدون عواطف الصربي القومية وتحولوا بين عشية وضحاها من شيوعيين أمميين إلى قوميين على ما بين هذين المذهبين من تناقض وذلك حتى يستمروا في مراكزهم وقد يكون الأصل فيهم التعصب القومي ولكن الشيوعية كانت سببًا للسيطرة على بقية أجزاء البلاد ولما بدأت الجمهوريات في الاستقلال عاد الزعماء إلى لبس ثيابهم الوطنية وكمثال لمن يحكم جمهورية صربيا بهذه لمحه عن حياة وشخصية وسياسة رئيس جمهورية الصربي سلو بودان ميلوسيفيتش .

ولد ميلوسيفيتش في بلدة بوناريفاك الصربي القريبة من بلغراد عام ١٩٤١م وكان أبوه أستاذًا وأمه معلمة وكلاهما كان عضواً ناشطاً في الحزب الشيوعي وبعد الحرب انفصل والداه وانحرا لاحقاً .

التحق بكلية الحقوق عام ١٩٦٠ ونمى صداقات كانت له خير معين في ارتقاء سلم السلطة ومثلاً فقد التقى إيفان ستامبوليتش ابن شقيق أحد أقوى شيوعي يوغسلافيا ، وقد أفاد من نجم إيفان الصاعد فكان يتولى تباعاً المناصب التي يخلفها إيفان وفي منتصف الثمانينيات أصبح ستامبوليتش رئيساً لصربيا فيما تولى ميلوسيفيتش المركز الثاني وهو رئيس الحزب الشيوعي الصربي وفي النهاية دبر انقلاباً أطاح بصديقه القديم الرئيس الصربي الذي لم يصدق ما حصل .

وكان معروفاً بحماسه للشيوعية حتى إنه عمد إلى زيادة صفوف الماركسية في المدارس ولكنه كان يتغير مع الظروف فقد بدأ يظهر الميول القومية ابتداءً من ١٩٨٦م وبعد توليه زمام الأمور في صربيا وطد سلطته في صربيا متوجهاً حقوق غير الصربي ثم حاول بسط نفوذه على بقية الجمهوريات ولكن الحزب الشيوعي سقط وتم حله وهنا تحول كلياً إلى داعية قومي وفاز في الانتخابات .

اتبع ميلوسيفيتش في سبيل تحقيق حلم صربيا الكبرى استراتيجية بسيطة وهي الحملات الإعلامية الدعائية التي ترتكز على الظلم الذي يلحق بالصربي وتهيج العواطف ومنها أنه تم تصوير جثث مجموعة من المسلمين في البوسنة على أنها لصربي قتلهم المسلمون ودعا الناس للدفاع عن إخوانهم وكذلك تركز الحملات الإعلامية على أن صربيا يحاصرها الأعداء من كل مكان وأنهم يتآمرون عليها مثل وكالة المخابرات الأمريكية ، وألمانيا والنمسا والفاتيكان وحتى الشيوعية العالمية ، وعلى سبيل المثال بث التلفزيون مقطعاً قديماً لمقابلة بين هتلر وعميله الكرواتي أثناء الحرب العالمية الثانية ثم اتبعت اللقطة بقطة للرئيس الحالي لکرواتيا وهو يصافح المستشار الألماني هلمت كول .

ويتبع الحملات الإعلامية بضغط عسكري وسياسي وهو عنيد لا يقبل التنازل وقد قال عنه وزير الخارجية الهولندي بعد مقابلة معه استمرت خمس ساعات لإقناعه بالسماح بإرسال مراقبين غير مسلحين من المجموعة الأوروبية إلى كرواتيا: "إننا نشفق على شعوب لها مثل هؤلاء القادة" وتسير عليه فكرة تحقيق حلم صربيا الكبرى ، ففي بداية الأحداث قال في خطاب له أمام مئة وخمسين من قادة الصربي : "إن واجب صربيا الأول هو الدفاع عن الصربي المستتين في جمهوريات يوغسلافيا الأخرى وإن عنى ذلك إعادة رسم خريطة البلاد بالقوة ، وأضاف أن لا معارضة سياسية ولا عوائق حول التدهور الاقتصادي يستطيعان الصمود أمام الدعوة الصربي إلى السلاح" وما كاد ينهي كلامه حتى دوت القاعة بالتصفيق .

### وجاء دور البوسنة والهرسك :

وما أن استقرت الأحوال في كرواتيا بمرابطة القوات الدولية في المنطقة التي يسيطر عليها الصربي (حالي ثالث كرواتيا) حتى انتقل ثقل الصراع إلى جمهورية البوسنة والهرسك وما إن أعلن استقلال

الجمهورية عن يوغسلافيا حتى بدأت الميليشيات الصربية المدعومة من قبل الجيش الاتحادي بشن غارات على المدن والقرى الإسلامية المتاخمة لصربيا وبينما كان الصرب مدججين بالسلاح كان المسلمون بحاجة ماسة للسلاح وكانت نداءاتهم للحكومة في سيراجيفو بتزويدهم بالسلاح لا تلقى استجابة مناسبة بسبب قلة السلاح ومعرفة الحكومة أنها ستحتاجه للدفاع عن سيراجيفو نفسها عند تعرضها للتهديد وقد تقدم الصرب بسرعة في البداية فاستولوا على مدينتين إسلاميتين في شمال شرق البوسنة . واستمر حصار وقصف المدن سواء التي يشكل المسلمون أكثرية فيها أو التي يتقاسمنها مع الصرب حتى أتموا احتلال حوالي ٦٥٪ من أراضي الجمهورية ، ومن المدن التي استولى عليها الصرب بيلينا وزفورنيك وبراتوناتسك وفيشغراد وروغاناتسيا وفوتشا وهذه تمثل مناطق على الحدود الشرقية ، وأيضاً فقد حق الصرب جيوباً مهمة في مناطق فيها أقليات صربية مثل سيراجيفو ومنطقة بوساتسكي برود وكوبريس وموستار ، وأقام الصرب جمهورية اسمية في الأراضي التي احتلوها في البوسنة والهرسك واتخذوا من مدينة بانيا لوكا عاصمة لهم .

وقد استفاد الصرب من الصدمة التي أصابت المسلمين وقاموا بعمليات قتل وترويع يقصد منها تفريغ المنطقة من المسلمين حتى تكون خالصة لهم وعلى الرغم من أن المجازر الرهيبة التي ارتكبواها قد نجحت في تهجير أعداد كبيرة من السكان بلغت حوالي المليون سواء داخل الجمهورية أو في كرواتيا وسلوفينيا فإنهم يواجهون مقاومة متصاعدة ، فيبينما صرخ رئيس الحزب الديمقراطي الصربي في البوسنة والهرسك في بداية الأحداث أن الصرب يستطيعون الاستيلاء على سيراجيفو خلال ساعات فقط إذا أرادوا فإن الواقع يكذبهم حيث صمدت سيراجيفو حتى الآن أكثر من شهرين ، وأيضاً تمت استعادة بعض المناطق ومنها موستار كما أحرز عدد من الانتصارات في المناطق الشمالية من الجمهورية وعلى الرغم من عدم ثقة المسلمين بحسن نوايا الكروات فإنهم اضطروا إلى التباحث حول اتحاد كونفيدرالي مع كرواتيا مع أن الكروات أيضاً لهم أطماع في الجمهورية بل ويرفعون علم كرواتيا على أي منطقة يقومون بطرد الصرب منها ، فـإلى الله المشتكى..

### **البوسنة والهرسك والنظام العالمي الجديد**

لقد أكثر دهافة النفاق السياسي من ترديد الشعارات البراقة ، وبشرروا بعالم جديد يسوده العدل ويتم فيه الأخذ على يد الظالم ، وأكبر مثال على ذلك ما حصل في الكويت . وإذا تساءلت : ما بال أهل فلسطين يسامون الخسف على يد يهود ، تحس من الإجابة أن هذا النظام لا يعمل به بأثر رجعي ولكنه يخضع للتجربة أمام المشاكل المستجدة ، وحصلت الحرب بين الصرب والكروات فتدخلت الدول الأوروبية بحزم وقامت بمد كرواتيا بالسلاح والضغط على صربيا لوقف العدوان وقامت الأمم المتحدة بإرسال حوالي ١٤ ألف جندي لحفظ السلام وكان مركز قيادتهم في سيراجيفو ولكن ما إن انتقل الصراع إلى بلاد المسلمين حتى تحولت الأمم المتحدة إلى حمل وديع لا تستطيع منع الصرب من العدوان ، بل لا تفكر في إرسال قوات لحفظ السلام ، بل إنه حرصاً على سلامه جنود الأمم المتحدة يأمر بطرس غالى بسحبها من سيراجيفو حتى يسهل على الصرب مهمة قصف المدينة وإبادة أهلها ، واصطدم بطرس غالى في سبيل ذلك مع جل الساسة الأوربيين بل ومسؤولي الأمم المتحدة الذين استكروا موقفه لتناقضها مع مواقف أخرى له ، فتراجع قليلاً وأذعن بأن تنشر قوات حفظ السلام ( ١١٠٠ رجل ) في سيراجيفو لفتح المطار وإغاثة السكان المحاصرين الذين يتعرضون للجماعة ، ولكنه اشترط لذلك - كما يقول المراقبون - شرطاً تعجيزياً وهو أن تقوم هدنة وتصمد لمدة ٤٨ ساعة على الأقل ، وهذا معناه ضوء أخضر للصرب بالاستمرار بالقصف حتى لا تتدخل الأمم المتحدة ، ولكن السؤال : ما هو وزن بطرس غالى ، بل ما هو وزن هيئة الأمم المتحدة من أحداث العالم ؟ إن الإجابة واضحة وهو أن الولايات المتحدة الأمريكية هي الأمم المتحدة ، وعندما تريد شيئاً

تتخذ من هذه الهيئة غطاءً قانونياً لتنفيذ أغراضها والحفاظ على مصالحها، وعندما لا ترغب في شيء من ذلك فإن الأمم المتحدة تبقى مكاناً للخطب والقرارات غير الملزمة كما صرخ بطرس غالى بتقسيم قرارات الأمم المتحدة إلى قرارات ملزمة وأخرى غير ملزمة حسب هوى البعض . وتجد في حالة البوسنة والهرسك أن الدول الأوروبية وبضغط من ألمانيا بدأت تنظر بريبة لتصرفات الصرب التي تعيد إلى الأذهان الأحوال في البلقان قبيل الحرب العالمية الأولى حيث إنه لا يساند الصرب إلا حليفتهم القديمة روسيا الاتحادية التي ورثت روسيا القيصرية . وبرزت ألمانيا كقوة أساسية في أوروبا وذلك لموافقتها المتميزة من مشكلة يوغسلافيا وفي ذلك إحراج كبير للولايات المتحدة التي يجب أن تدخل الساحة حتى لا تقوتها المكاسب وبالتالي اعترفت الأمم المتحدة بالدول الثلاث ومنها البوسنة والهرسك ، وتحركت الأمم المتحدة التي بعثت فيها الحياة من جديد لفرض حظر دولي على صربيا والجبل الأسود ، وب بدأت الولايات المتحدة بالتلويح بعمل عسكري محدود لإيصال المعونات لسكان سيراجيفو المحاصرين وإذا حصل شيء من ذلك فهو لأسباب منها :

- ١- قرب العهد من أحداث الخليج والحرج الحاصل من اختلاف ردة الفعل ، على الرغم من أن ما يحصل في البوسنة والهرسك من الأعمال الوحشية لا يقارن بما حصل في الكويت .
- ٢- كون المسلمين في يوغسلافيا يغلب عليهم التفريط والانسلاخ الفعلاني وهذه التصرفات الصليبية قد تؤدي إلى تنامي تيار إسلامي يكبر في أوساطهم ، أو بلغتهم انتشار الأصولية بين المسلمين في أوروبا وهذا ما لا يتحمله الغرب .
- ٣- إفساح المجال للحكومات في البلاد الإسلامية لتقديم العون للمسلمين وذلك لتخفييف استياء الشعوب مما يجري .
- ٤- محاولة تحجيم دور ألمانيا وفرنسا في الميدان الأوروبي ولا يغيب عن البال أن ميتران ذهب إلى سيراجيفو وهي تحت الحصار وأرسل المساعدات الإنسانية إلى أهلها .

### لا تنس أخي المسلم

أخي العزيز : إن ما سأذكره لك هو مصدق لقوله تعالى : ((إِن يَتَّقُّوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءٌ وَيَسْطُوْا إِلَيْكُمْ أَيْدِيْهُمْ وَالسَّيْنَتُهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُوا لَوْ تَكُفُّرُوْنَ)) ، وقال تعالى: ((لَا يَرْقُبُوْنَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذَمَّةٌ وَأَوْلَانِكَ هُمُ الْمُعَذَّدُوْنَ)) [التوبة ١٠] .

إن ما يجري في بلاد البوسنة والهرسك هي عمليات إبادة يمارسها الصرب ضد الشناق وهم من أصل واحد بل ويتكلمون لغة واحدة ولكن فرق بينهم الدين . أخي المسلم إننا لا نريد منك فقط أن تذرف الدموع الغزير تعاطفاً مع إخوانك ، فهذا لا يكفي ، بل يجب أن تتذكر ولا تنسى أن ما جرى لهم اليوم قد جرى لهم مرات ومرات قبل اليوم ، وهو أيضاً ما حصل لغيرهم من المسلمين في مخيمات اللاجئين في لبنان على يد الموارنة والرافضة وحصل للمسلمين في الهند على يد الهندوس وفي بورما على يد البوذيين وفي سيلان على يد التاميل وفي وفي .. ولكننا أص比نا بداء الوهن مضافاً إليه ضعف شديد في الذاكرة ، وما نريده منك - أخي المسلم - لا تنسى هذه الأحداث و تعرض عليها كل ابتسامة من كافر وكل مجاملة من ملحد وصدق الله حيث قال : ((يُرْضُوْنَكَ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُوْنَ)) [التوبة ٨] .

\* يروي شهود العيان القلائل الذين نجوا من سكاكين ومناشير العصابات الصربية المسمة بـ شتنىك ، يرون صوراً من أفاعيلهم البشعة . قام شتنىك بإحرار المسلمين في مساجدهم وبيوتهم في مناطق جنوب شرق البوسنة وكانوا يمثّلون بالقتل بعد ذبحهم بالسكاكين ويقطعون بها ثدي النساء بعد اغتصابهن ويبقرون بطون الحوامل للتمثيل بالأجنحة .

\* في مدينة قوتشا الإسلامية المشهورة بمساجدتها الجميلة التي بنيت في العهد العثماني قام الصرب بالاستيلاء على بعض أحياها ثم علقو أعلاماً صربية على مئذنة المسجد الجامع فيها وتسمى عبر مكبراتها أغان صربية تشنم مقدسات المسلمين وتحرض على إبادتهم .

\* في مدينة بيلبينا على الحدود مع صربيا حدث ما يلي : بعد آخر صلاة تراویح في رمضان ١٤١٢ هـ وعند خروج المسلمين من المسجد أخذت القوات الصربية اثنين منهم وذبحتهما على باب المسجد وببدأت بإطلاق النار على الآخرين وعندئذ هرع المسلمين راجعين إلى المسجد ثم ألقى الصرب القنابل في داخله ليقتلوا ما يزيد على مئة مصل ثم دخلوا المسجد وسلبوا المسلمين ، وقضوا الحاجة على جثثهم ، والأدهى أن تلفزيون بلغراد بث هذا المشهد المروع في نشرته الرئيسية بعد أن عرض القتلى في الكنيسة بدلاً من المسجد المهدى وعلق على الصورة بأن المسلمين المسلحين المدعومين من الخارج هكذا يعاملون أفراد الشعب الصربى في البوسنة والهرسك وهذا هو مصير ما يزيد على مليون صربى فيها ولحماية الشعب الصربى في البوسنة من المسلمين المتطرفين نناشد جميع شباب صربيا سرعة الالتحاق بمراکز المتطوعين لإنقاذ الصرب الأبراء .

\* والآن إليك محضر تحقيق أجري مع أحد المجرمين الصرب ونشر في أحد صحف سيراجيفو وذلك بعد القبض عليه ، ففي الرابع عشر من أيار في حي سوكوبونار في سيراجيفو ألقى أفراد الشرطة البوسنية القبض على الإرهابي الصربى جيلكو كوفاشيفيتش ، وفي الحال اعترف بالاتى مع حذف المعلومات غير الضرورية :

- نشأت في عائلة من الطبقة العاملة ، والدي ووالدي افترقا عام ١٩٧٥ م ، أسكن أنا ووالدي في نفس المنزل .

- أخي ميلنيكو ولد عام ١٩٦٧ م يعمل كسائق شاحنة ، حالياً ينتظم في صفوف الميليشيات الصربية .

- في الرابع من أبريل استلمت دعوة للانتظام في احتياط القاطع العسكري لمنطقة سوكولاتس ، أخذت مكاني مع ثلاثة عنصراً في فصيل عسكري بقيادة ضابط احتياط .

- في معسكر هان بيساك كنا حوالي ٤٠٠ جندي بقيادة سبعة ضباط احتياط من صربيا .

- تلقينا تدريباً عسكرياً يشمل تمرينات جسمانية ، التدريب بالرصاص الحي على أسلحة القنصل ، الرشاشات الأوتوماتيكية ، المدفع وأسلحة أخرى .

- بعد التدريب أمرنا بالذهاب للدفاع عن سيراجيفو وإنقاذ الشعب الصربى المعرض للقتل والتنكيل من جانب منظمة الكوفيات الخضر "الإسلامية" .

- قائد الكتيبة الذى حضر من صربيا وقاده المعسكر الآخرون كانوا غالباً يحدثوننا خلال دروس التوجيه السياسي كيف ينكل المسلمون والكروات بالصرب ويطردونهم من بيوتهم ويقودونهم إلى جهات مجهولة .

- حوالى الساعة العاشرة من الثاني والعشرين من أبريل تحركنا بالشاحنات والباصات العسكرية نحو سيراجيفو ، وصلنا معسكر لوكافيتا بالقرب من سيراجيفو . قبل مساء ذلك اليوم انطلقنا من المعسكر إلى حي جربافيتا في سراجيفو تلك الليلة ، لم ندخل الحي لأسباب أمنية بل قضينا الليل في الحافلات .

- في صباح اليوم التالي وتحت حراسة عسكرية مشددة دخلنا جربافيتا . قضينا الليلة الأولى في الهواء الطلق ، ثم وجدنا بعض المنازل المهجورة فوق اختيارنا على منزل لأحد المسلمين واسمه يوسف في شارع زغرب .

- بانتظام كنا نحصل على التموين في ذلك المنزل من معسكر لوكافيتا التابع للجيش الاتحادي . خلال النهار نستريح وخلال الليل نذهب إلى المواقع ، كنا ننشط ونفتش المنازل بحثاً عن السلاح . نعم

لقد نهينا مواد مختلفة، لقد أخذت من بعض المنازل أجهزة كهربائية ، ساعة يدوية وأشياء أخرى .

- قائدنا رايكلو تسفيكش كان قد قال لنا أن ننهي أي شيء تقع عليه أيدينا وبشكل خاص أن نحضر له جهاز فاكس من نوع "باناسونيك". كنا نسرق السيارات ونحملها بالمواد المنهوبة ونقلها إلى سوكولاتس .

- قبل سبعة أيام وبينما نحن سوية ، فإذا بشاب يسير نحونا ، أوقفناه فسألته ماركوفيتش عن الهوية الشخصية ، أعطاه الشاب هويته فوراً ، وعندما عرف ماركوفيتش اسم الشاب قال : انظر ابن "...". نحن نبحث عن هؤلاء لنذهبهم . بدأنا جميعاً بضربه بأيدينا وأرجلنا فسقط على الأرض فواصلنا ركله بأرجلنا دون الالتفات إلى توصلاته ، لكننا مع ذلك ضربناه أكثر وأكثر . عند ذلك بدأ الدم يسيل من رأسه ووجهه فأجبرناه أن يقف على رجليه .

- ماركوفيتش طلب مني السكين فأعطيته ، عند ذلك قال : الآن سأذبح ابن "...". الغلام كان يتسلل لنا أن لا نفعل .. لكنه صاح بعد ذلك قائلاً : افعلا ما بدا لكم.. أنا لا أخاف الموت.. سوف تناولون جراءكم يوماً ما .

- ماركوفيتش قال لنا عند ذلك بحده : إن القائد تسفيكش أمر بذبح المسلم بالسكين لأنه خسارة أن نطلق عليه رصاصاً غالى الثمن .

- في تلك اللحظة وقف خلف الغلام بإحدى يديه شد لحيته وباليد الأخرى أمسك بالسكين.. ذبح الغلام !! انتظرنا مدة خمس دقائق لتأكد من موت الغلام . كان يلفظ أنفاسه وماركوفيتش يقول :.. تعذب .. تعذب سوف نذبحكم كلكم بهذه الطريقة .

- قبل أربعة أيام تحركنا نحو الأربعة باتجاه قراتشي ، هناك رأيت رجلاً يجلس أمام بيته في أحد الأزقة ، ذهبت إليه وسألته عن هويته الشخصية ، قال لي إنه لا يملك هوية وإن اسمه رادي ، لم أصدقه لأنه كان شبيهاً بال المسلمين وجهاً وتعبيرأ . سأله لماذا لا يذهب إلى الجيش إذا كان صربياً كما يقول ، فقال : إن الحرب لا تهمه وإنه لا يريد أن ينحاز لأي جهة ، أغضبني جوابه كثيراً ، فأسكت بلحيته من الخلف وببدي الأخرى أخرجت سكيني من الجعبة فذبحته ، سال دمه بكثافة ، انتظرت قليلاً وبعدها رجعت إلى رفافي . وأضاف لقد قتلنا أو ذبحنا ما مجموعه ثلاثة عشر مسلماً وأضرمنا النار في خمسة بيوت تابعة للمسلمين (1).

1- نقلأ عن جريدة ASI البوسنية الصادرة بتاريخ 1992/5/29 م

## الجهاد الأفغاني ومرحلة البناء

كم نتمنى أن ينتقل الجهاد الأفغاني بعد محنته الأخيرة مع مجددي وكيلاني والتحالفات المشبوهة التي أرادت أن تسرق ثمرة الجهاد أو التي تخصصت في استغلال جهود الآخرين لمصلحتها أن ينتقل إلى مرحلة البناء ، ويا لها من مهمة صعبة ، تتطلب جهوداً مخلصة دؤوبة ، جهوداً فيها صبر وحكمة واتخاذ القرار الصائب ، وبعد التخريب الشيوعي وجهل المسلمين بشكل عام وكثرة تفرقهم في مثل هذه الأجواء قد يكون البدء من الصفر . إن أعداء الإسلام من أبناء جلدتنا خاصة يراهنون على أن المسلمين إذا حكموا فلن يستطيعوا الاستمرار وإدارة البلاد ، ويقولون فلندعهم يحكموا حتى يظهر فشلهم . وهذه مقوله ماكرة مضللة ولكنها في الوقت نفسه تضع المسلم في موقع التحدي، وخاصة في الظروف الدولية السائدة . والتحديات كثيرة جداً ومن أصعبها توحيد الصف الإسلامي الذي جاهد طوال السنوات السابقة، وتوجيه الشعب الأفغاني، الذي إن لم يتدارك الأمر فستمزقه

الصراعات القبلية والعرقية وإننا من موقع الأخوة والنصح والمشاركة في الرأي نبدي بعض الملاحظات حول المرحلة الحالية .

١- نتمنى أن يستمر التعاون والتنسيق بين فصائل الجهاد الحقيقي والذي كان قوياً في الأيام الأخيرة لمواجهة المؤامرة ، بل لا بد من جمع فصائل أهل السنة ونبذ أي نوع من التفرق (وهو داء عميق) ، ولا بد من تضمين جراح الشعب الأفغاني والمسارعة في بدء التوطين والإعمار حتى يلتئم هذا الشعب حول حكومته . ويجب ألا يخطر ببال جبهة واحدة الانفراد بالأمور ، ولا بد من إبعاد المنافقين وأصحاب الأهواء وعدم تمكينهم من المراكز المهمة، فإنهم يفسدون أكثر مما يصلحون .

٢- إن أهم ما يبدأ من جوانب الإصلاح والبناء هو التعليم وإعداد المناهج المناسبة للأطفال والشباب، فهو لاء الأجيال إذا أعدوا ديناً وخلقواً وعلمواً وعملواً هم حماة الدولة واستمراريتها ، ولا ننسى مقوله الشاعر الهندي المسلم : "يا لغباء فرعون كان بإمكانه أن يفتح المدارس ويخرج عقول شباببني إسرائيل عوضاً أن يذبحهم" ، فالتعليم هو الذي يصلح أو يفسد . ولا بد من الحرص على تعلم الشباب شتى الاختصاصات التي تؤهله للمشاركة في الاستقلال الاقتصادي والسياسي عن الدول الكافرة ، وعند المسلمين كفاءات تربوية لإعداد المناهج المناسبة فيجب أن يستفاد منها .

٣- الاستفادة من التجارب الفاشلة للدول العربية ودول العالم الإسلامي بشكل عام عندما رفعوا شعارات التصنيع وأهملوا موضوع الزراعة فلا هم أتقنوا الصناعة ، ولا هم تركوا الناس يزرون و أصبحوا يستجدون القمح من أمريكا ، وذلك لأن الشيء الطبيعي أن تبدأ الدول الصغيرة خاصة بالزراعة والصناعة تأتي في مرحلة تالية .

٤- إن الذي يثبت أركان الدولة هو إقامة العدل ولا شك أن تطبيق الإسلام فيه العدل الشامل ، والشعب الذي يعامل بالعدل وتصان حريته وكرامته سيختلف حول دولته ويكون معها في السراء والضراء ، والشعب الذي لا يقيم دنيا ولا دينا ، وإن كل المقولات التي تبرر الضغط على الناس وممارسة الاستبداد غير مقبولة .

٥- لا يقولن أحد من ضعفاء النفوس إننا لا نستطيع في هذه الظروف إلا أن ننحاز إلى إحدى الدول الغربية القوية . نعم يجب أن نتعامل مع الواقع حولنا ، ولكن استقلال القرار السياسي والإداري ليس صعباً وبشيء من الهدوء وضبط النفس ومعرفة ظروف المرحلة وتقوية العلاقات مع الدول الصديقة ، مع تمسك الجبهة الداخلية تستطيع الدول أن تكون مستقلة القرار . وهناك أمثلة من القريب والبعيد ، فالسلطان عبد الحميد استطاع لمدة ثلاثين سنة أن يجنب الدولة ضربات الغرب المتربيين وذلك لمعرفته بالظروف الدولية واستغلالها لصالحه .

هذه ملاحظات سريعة مشفقة ، وأمر البناء أكبر من هذا وخاصة في مجال بناء النفوس .

## أوضاع المسلمين في اسكتلندا

### عمران العمراني

تقع اسكتلندا في الجزء الشمالي من بريطانيا ، ويبلغ عدد سكانها خمسة ملايين نسمة، وتعتبر مدينة "أدنبرة" عاصمة لها بينما تعد مدينة "جلاسجو" المدينة الصناعية والتجارية ومن أهم مدنها دندي وأبردين وغيرها .

يمثل المهاجرون الباكستانيون والهنود والبنغال معظم سكانها المسلمين بل إنهم أساس وجود المسلمين.. وهذه الهجرة كانت بعد الحرب العالمية الثانية وخلال استعمار بريطانيا للهند أوائل هذا القرن وسببها طلب العيش والبحث عن فرص أفضل للعمل.

### ادنبره

هي العاصمة ويبلغ عدد المسلمين فيها حوالي خمسة عشر ألفاً ، وبها ثلاثة مساجد لأهل السنة ، وبها أيضاً للشيعة وجود ، ويبنى الآن مسجد جامع كبير ولا يزال قيد الإنشاء .

### جلاسجو

عدد سكانها مليون نسمة منهم عشرون إلى خمسة وعشرين ألفاً من المسلمين يعمل معظمهم بالتجارة، ويلك كثير منهم عقارات و محلات بيع الجملة بل إن أكبر محلات الجملة في جلاسجو ملك لرجل باكستاني . وهم بهذه المثابة غير مرغوب فيهم من قبل سكان البلد الأصليين لأنهم في نظرهم قد حصلوا على أحسن الوظائف وتسببوا في الغلاء والتضخم ، ولذلك ينادي كثير من الشخصيات الاسكتلندية بتحديد الهجرة والتشدد في إجراءات الإقامة ومنح اللجوء وغيرها من القوانين .

### المساجد والمرآكز الإسلامية

لأهل السنة خمسة مساجد رئيسية موزعة على النحو التالي :

- جماعة التبليغ مسجدان .

- الجماعة الإسلامية في باكستان ويمثلها الحركة الإسلامية في بريطانيا مسجد .

- جمعية اتحاد المسلمين مستقلة مكونة من بعض التجار وتشرف على المسجد المركزي .

- جماعة دعوة الإسلام وهم من البنغال .

وهنالك مساجدان تابعان لكل من جامعة جلاسجو وجامعة ستراحتكلايد .

إلى جانب مساجد أهل السنة يوجد مسجد للقاديانيين وأخر للبريلويين واثنان للشيعة .

وللأزهر مندوب يقوم بإلقاء خطبة باللغة العربية والإنجليزية يوم الجمعة في المسجد المركزي وله علاقة طيبة بالباكستانيين .

ولجمعية الطلاب المسلمين في بريطانيا فرع تحت اسم "دار المسلمين" تقام فيه حلقة أسبوعية يوم السبت ويقومون ببعض الرحلات خلال أيام الأعياد ، ويقيمون أياماً ثقافية في مقر الدار .

وأيضاً هناك جمعية "الرسالة" وتقيم حلقة أسبوعية يوم الأحد وتقوم بتنظيم أيام ثقافية بالتعاون مع المسجد المركزي ، وتقوم بالرحلات ونشاطات أخرى . المسلمين الباكستانيون في الجملة ليس لهم تأثير على أبناء جلدتهم بل إن نظرتهم للإسلام تكاد تتحصر في صلاة الجمعة واللحم الحلال وعدم أكل لحم الخنزير ، أما شرب الخمور وتضييع الصلوات فلا يعدونه منكراً أو كبيرة ، وقد سألت أحد أصحاب المحلات التجارية هل يوجد مصلى؟ - لأنهم يعملون من الثامنة صباحاً حتى التاسعة مساء بدون توقف - فأجاب: لا، قلت: وأين تصلون؟ فأجاب: إذا رجعنا للبيت صلينا العشاء والفجر ،

فقلت: وبقية الصلوات؟ أجاب: لا نصليها .

فهم محتاجون إلى توجيهه مرّكّز ودعوة تعرف واقعهم وتعالجه بما يناسبه ولا شك أن ذلك يحتاج إلى وقت وجهد ومال والله المستعان .

### دندي

يبلغ عدد المسلمين بها حوالي ألف وخمسمائة منهم مائة من العرب معظمهم من الطلاب ، ومعظم المسلمين هنود سكناً ملاوي الأفريقية وهاجروا ، وهم أقرب إلى الإسلام من سكان جلاسجو وإنبره

يوجد بدندي مسجدان لأهل السنة ، واحد للتبلیغ والآخر تابع لجامعة دندي ، وللشیعہ مسجد وكذلك للبریلیویہ

أول من استوطنهما أحد التجار الهنود ثم تبعه أقاربه الذين يبلغ عددهم الآن حوالي خمسين فرد .  
توصيات :

المسلمون في اسكتلندا يفتقدون التوجيه والمؤسسات التي تشرح لهم الإسلام بطريقة تلائم واقعهم وتفهم حاجاتهم ، ومحتجون إلى دعم وتكوين بل وإيجاد فرص عمل تستوعب الطاقات وهذا يحتاج إلى مال ورجال وبالإمكان الاستعانة بالطلاب الباكستانيين الطيبين الذين يوجد عدد كبير منهم ، وكم ملخص لما يمكن أن يوصى به أقول :

- ١- مؤسسات دعوية يكون نشاطها موجهة للجالية الباكستانية .
- ٢- الاستفادة من طاقات الشباب الباكستاني .
- ٣- التعاون مع الجماعة الإسلامية في باكستان .
- ٤- التفكير في فرص عمل ولو محدودة .
- ٥- تكثيف توزيع النشرات بالأوردو .

## آخر أخبار المعارك في الفلبين

تدور حالياً معارك ضارية في مديرية ملانج بمحافظة كوتبادو الشمالية .

بدأت هذه المعارك في الساعة السادسة والثلث تقريرياً صباح يوم الثلاثاء الثامن من ذي الحجة ١٤١٢هـ ، حيث هاجمت المليشيا النصرانية الحكومية قرية ليجاواسان الإسلامية بجوار المستنقعات الواسعة .

وكان مركز هؤلاء النصارى المعتدين هو قرية أنتباني النصرانية التي أقامواها بعد اغتصاب أراضي المسلمين في المنطقة ، وقد فاجئوا الأهالي المسلمين الآمنين بالهجوم المبكر الذي دبر أثناء صلاة الصبح . فقد هاجموا المسلمين بعد خروجهم من المسجد وقتلوا سبعة من هؤلاء المسلمين من بينهم شباباً مثلاً بهما حيث قطعوا رأسيهما ومزقوا جثثهما لأنهما متهمان بالانتماء إلى جبهة تحرير مورو الإسلامية وقتلوا الباقيين .

وفي نفس الوقت قام مجاهدو جبهة تحرير مورو الإسلامية في معسكر عثمان بن عفان بالهجوم المضاد بعد أن وصل إليهم خبر الاعتداء على المسلمين الآمنين وألحقوا بالمليشيا النصرانية خسائر كبيرة ويقدر عدد قتلاهم بأكثر من عشرة قتلى ، وتصاعدت المعارك يوم العيد المبارك (الخميس العاشر من ذي الحجة ١٤١٢هـ) ولم يتمكن المجاهدون في المنطقة من أداء صلاة العيد لانشغالهم بالقتال من الصباح الباكر إلى آخر النهار . واستمرت المعارك إلى يوم الجمعة ١١ ذو الحجة ١٤١٢هـ .

جبهة تحرير مورو الإسلامية

## من مكتبة البيان

إعداد: عبد العزيز الحويطان

- صدر حديثاً كتاب بعنوان "ضوابط للدراسات الفقهية" للشيخ الداعية سلمان بن فهد العودة ، يأتي الكتاب في ١٣٠ صفحة من الحجم المتوسط ، وهو محاولة ناجحة لرسم خطة عملية متكاملة للدراسات الفقهية المعاصرة ، تحدث المؤلف فيه عن أهمية الفقه وضرورته ، والملحوظات على الدراسات الفقهية قديمها وحديثها ، ثم تحدث عن الضوابط التي يجب أن يتحلى بها الباحث في هذا المجال ، ثم ذيله ببعض المراجع التي يحتاج إليها الباحث المتخصص .  
أتى الكتاب قيماً متميزاً في عرضه وفكته ، والكتاب من توزيع دار الوطن للنشر .

### - "شرح العمدة في الفقه" لشيخ الإسلام ابن تيمية :

خرج الجزء الأول "كتاب الطهارة" من كتاب شرح العمدة في الفقه لشيخ الإسلام ابن تيمية، بتحقيق الدكتور سعود بن صالح العطيشان وذلك في مجلد حافل وضخم ، والكتاب يكتسب أهمية من مؤلفه ابن تيمية - رحمه الله - الذي تميز بسعة اطلاعه ومعرفته بالخلاف وقوته ترجيحه .  
الكتاب لم يتمه شيخ الإسلام بل وصل إلى كتاب الحج ، وهذا القسم - قسم الطهارة - قدمه المحقق لنيل شهادة (الماجستير) من الجامعة الإسلامية وأخذ عليه درجة امتياز والكتاب من توزيع مكتبة العبيكان .

### - "مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة و موقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها" :

هذا الكتاب للدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل ، الأستاذ المشارك بقسم العقيدة - كلية أصول الدين بالرياض - كتاب قيم ونفيس ، تكلم عن قضية كبرى مهمة في هذا الدين ألا وهي قضية العقيدة ، عرف المؤلف من خلاله العقيدة ومعنى أهل السنة والجماعة ، ثم ذكر تاريخ العقيدة وأصولها ومصادرها وخصائصها ، ثم ذكر فصلاً مجملأً عن اعتقاد أهل السنة والجماعة ، وأخيراً تحدث عن بعض النتائج والخواطر عن هذا الموضوع ، وعلاقته بالحركات الإسلامية المعاصرة و موقفها منه .  
أتى الكتاب في (٨٠) صفحة تقريراً ، من توزيع دار الوطن للنشر..

- صدرت أخيراً مجموعة من الكتب للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد ، مثل "الرقابة على التراث" و"الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث" و"تحريف النصوص من مأخذ أهل الأهواء في الاستدلال" و"الرد على المخالف" و"معرفة النسخ والصحائف الحديثة" و"التحديث بما لا يصح فيه حديث" .

وهي كتب جديرة بالقراءة والاطلاع ، بذل فيها المؤلف جهداً طيباً من ناحية الاستقصاء والبحث .

## منتدى القراء الكلمة الهدافة الهدائة

كثيراً ما نرى في المساجد بعض الشباب الممتلىء حماساً وحيوية والذي يلمس من نفسه شعوراً بالقدرة على صعود أعواد المنابر ومواجهة الناس للتalking إليهم سواء في خطبة الجمعة أو كلمة تلقى على المصليين .

وتظهر مع بعض هؤلاء الشباب نبرة الصوت العالية التي هي - إن شاء الله - خرجت من قلب مشفف محب للخير ، ولكن قد يصاحب هذه النبرة بعض الكلمات الموجهة إلى شريحة معينة من المجتمع - كالعصاة الظاهرة معاصيهم - بعض الكلمات الجارحة مما يؤدي إلى نفور هذه الشريحة من المتحدث وعدم الأخذ بكلامه جملة وتفصيلاً وذلك لمصادمته لهم مباشرة وبأسلوب فيه غلظة في القول .

لا ندري لماذا لا يلجأ هؤلاء الشباب ومن على شاكلتهم إلى تلافي مثل هذه المآخذ في كلماتهم وخطبهم ، واللجوء إلى الكلمة الهدافة الهدامة . التي ترتكز على عدم رفع الصوت أكثر مما ينبغي ، وعلى محاولة كسب قلوب الناس وملاظفهم بالنصيحة ، وذكر ما يناسبهم من الحديث ، وعدم مصادمة مشاعرهم ، وإطلاق الكلمات الجارحة ، والأخذ بمنهج الرسول - صلى الله عليه وسلم - الذي وصفه ربه بقوله : ((فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ الَّهُ لِنَتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيلًا لَقَلْبِ لَانْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ))

## هل نسينا مسألة الوحدة

عبد العزيز العنزي

يعتبر أي مشروع نهضوي إسلامي لا يضع في مقدمة أهدافه تحقيق الوحدة بين المسلمين مشروعًا فاشلاً ، وليس سبب هذا الفشل فقط إغفاله للنصوص الشرعية المتواترة القاضية بالحث على الوحدة ونزع التفرق بين المسلمين ؛ بل لأجل إغفاله ضرورة عملية من ضرورات العمل الدعوي ، ولا أظن أن هذه القضية تخفي على كل ممارس للعمل الدعوي على أرض الواقع . إذا تقرر ما تقدم فإن الناظر والمتأمل في واقع الدعاة يرى عجباً في هذا الجانب فالقضية أصلاً لا تتناول إلا في نطاق ضيق، وإن تتوالت فليس على مستوى الهم العام لجميع الدعاة، ولم نصل بعد إلى مرحلة جعل هذه القضية من قضايا المسلمين العامة التي لا يجهلها أحد .

## أين أجد لذة العبادة

أم قتيبة

تكلبت على الهموم والأحزان ، بسبب ما أسمع وأرى عن المأساة التي تمر بها الأمة الإسلامية : حروب طاحنة ، مجاعات رهيبة ، فيضانات مدمرة ، وما يكاد يلتم جرح حتى تنفجر جروح من بور ما إلى كشمير إلى إرتريا إلى يوغسلافيا ، ولكنني أتساءل أين دور المسلمين على الساحة العالمية ؟

فلما تكلبت على هذه الأحزان ، قمت بزيارة إلى البلد الأمين ، لعلي أنسى بعض همومي وعندما وصلت هناك ، ورأيت الكعبة انهمرت من عيني الدموع وهالني منظر الجموع المحتشدة ، وتذكرت دعاء أبيينا إبراهيم : ((رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِنَا الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ)). وبعد أداء مناسك العمرة رجعت أدرأجي إلى السكن لأستريح قليلاً، ولكنني فوجئت بالنغمات الموسيقية تتنطلق من الشقة المجاورة ، وبعد قليل دوى صوت الله أكبر فذهبت الحرم لأداء الصلاة . وهناك طلبت إحدى الأخوات تسوية الصنوف ، فأنبرت أخرى بسانها البتار ، بشتائم مقدعة ، وتعالت الصيحات

والعويل من الصنوف الخلفية ، قلت في نفسي علّ بعض النساء وصلتهن أخبار محزنة ، ولكنني علمت فيما بعد أن إداهن حجزت مكاناً لأخرى فنمازعتها امرأة ثانية على ذلك المكان فقلت : سبحان الله أين نحن من حديث المصطفى -عليه أفضل الصلاة والسلام- "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً" .

ومكثت في مصلاي ، وشد انتباхи تبرج بعض النساء من إبداء زينتهن ، وتدكرت قول رسولنا الكريم - صلى الله عليه وسلم - عن الصنف الذي لم يره ، وهن الكاسيات العاريات . فتساءلت أين ذروهن ؟ ومن المسؤول عنهن ، لماذا لا يؤخذ على يد السفيه حتى لا يعمنا الله بعاقب ، وما أفقت من تفكيري حتى لسعتني أشعة الشمس ولسان حالي يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، اللهم ثبتنا على الإيمان .

## القراءة الناقدة

### فيصل الذواد

لو تأملت ظروف تطور الفتنة ، قد يمها وحديتها ، فسوف تلاحظ أن عامة الناس ، بادي الرأي ، الذين يجرون وراء كل ناعق ، هم وقودها وسبب انتشارها ، لذا فإنهم في زمن الأمان قبلة موقوتة ، سهلة الاستعمال ، قليلة التكاليف لأعداء هذا الدين ، ما لم تحصن عقولهم ، وترم آراؤهم ، ويقطع دابر الفوضى المستشرية في أفكارهم وعقائدهم .

والمطبوعات بأنواعها من كتب ، ودوريات وصحف ونشرات مختلفة المشارب ، والأهواء ، تُضُخ في عصرنا هذا بكميات هائلة ، تجعل من الصعب استيعابها ، فما بالك بغير بألها ، وإبراز ما فيها من عيب وخلل .

والناس يتعاملون مع هذه المطبوعات ، على ضروب كثيرة ، أبرزها ثلاثة ، نخص الأخير منها بهذه المقالة ، أما الأول : فهو المتلقى الوعي ، الذي يغربل ما يقرأ ، ثم يتأنى في قبول أو رد رأي يعرض عليه ، فيعرف الغث من السمين ، ويراعي قبل ذلك ، حال صاحبه فهو ثقة ، أم مجهول لا يعرف منته ، وهذا الضرب لا يخاف منه ولا عليه .

والثاني: هو الذي لا يقبل أي رأي ، ولا يقتني أي مطبوع ، إلا باستشارة من يثق ، وهذا أمره أهون ، والخوف منه وعليه أقل .

أما الأخير فهو المستهدف ، وإليه توجه السهام ، فهو الذي يقبل ما هبّ ودبّ ، ليس له رأي معين ، وليس عنده مسلمات ، ولا يعرف الثوابت ، فهو طوغ لكل فصيح ، فهذا مصدر الداء وأس البلاء ، وعُون الأعداء .

وكما الطحين بحاجة إلى غربال ، يزيل عنه قشوره وشوائبها ، مما يقرأ أيضاً بحاجة إلى عين ناقدة ، تستخلص ذهبه من نحاسه ، تلك القراءة الوعائية المستنيرة بنور الإيمان ، وضياء القرآن وعدل الإسلام ..

في دائرة الضوء  
نعم الإسلام هو البديل

كثيراً ما يتباهى الغربيون أنهم أهل الديمقراطية ودعاة الحرية العامة وحرية الرأي بخاصة ، وأنهم أكدوا ذلك في دساتير بلدانهم ، وأنهم مع (حقوق الإنسان) التي أصدرتها هيئة الأمم المتحدة ، ويرون أنها من بديهيات الحقوق التي يجب أن يتمتع بها الإنسان أياً كان ، بل لأنهم يسالمون ويعادون على ضوء تلك الحقوق الإنسانية . وكثيراً ما يكونون في صف أدعية الفكر من الكتاب والأدباء الذين أفوا كتاباً إلحادية بدعوى أن ذلك مما تكفله حرية الرأي للجميع . ولا يغيب عن البال موقفهم من (سلمان رشدي) حينما ألف كتابه (آيات شيطانية) و (علاء حامد) في روايته (مسافة في عقل) .

إلا أننا وبمعرفتنا بالعقليات الغربية ومنطقاتها الصليبية لا نشك في أن مؤازرتهم لأمثال أولئك الكتاب ذوي الاتجاهات المنحرفة ليس إلا لكونهم طعنوا في الإسلام عقيدة ومنهاج حياة ، وإلا فلماذا أصدروا في (بريطانيا) قراراً بمصادرة كتاب (صائد الجواسيس) ، وصودرت حرية الرأي حينما أراد أحد الباحثين أن يدرس وينقض دعوى اليهود الصهابية بادعائهم إحرق (هتلر لليهود)؟! وحينما تقدم الباحث برسالته العلمية التي تنقص تلك الدعوى التي ما زالوا يمتصون بها الملايين بدعوى التعويض عن القتلى اليهود من قبل (النازية) رفضت الرسالة . في الوقت الذي تباشر عمليات الاضطهاد لمن ينقد التوجهات الصهيونية للعدو الإسرائيلي في أمريكا بدعوى عدم إثارة النزعة اللاسامية .

هذا كله مقدمة لحال السفير الألماني الدكتور (مراد ويلفريد هو夫مان) الذي ألف كتابه الجديد (الإسلام البديل) وتعرض بعده إلى حملة صحفية قادتها الجمعيات النسائية ، بدعوى أن الإسلام أهان المرأة . وتعرض للمساءلة من (الخارجية الألمانية) ولو مه لأنه خرج عن مهم وظيفته . ودعت نائبة في (الحزب الديمقراطي الاشتراكي) إلى إقالته لأنه تجاوز حقوق المرأة في الدستور الألماني . هذه الحملة المغرضة ضد السفير مع أن الدستور الألماني يعتبر الدين من الشؤون الشخصية .

والحقيقة خلاف ما قيل عن المؤلف المسلم وكتابه فهذا الألماني المسلم (عبد الله رودلف بيريت) صديق المؤلف (هو夫مان) يقول أن الحملة وجعل عنوانها "الدفاع عن حقوق المرأة" ليس ذلك إلا مجرد عنوان والحقيقة هي الخوف من الكتاب وما تضمنه من أفكار تقدم (الإسلام كبديل من نمط الحياة الغربية) . فالمؤلف (هو夫مان) سبق له أن ألف كتاباً سابقاً بعنوان (مذكرات مسلم ألماني) ولم يثير أي ردود فعل غير عادية ، بل إن الكتاب موجود في السفارات الألمانية بالدول الإسلامية . وإن جريدة كبرى مثل (فرنكفورتر جياميبيه) نشرت لذلك الكتاب عرضاً موضوعياً لكاتب غير مسلم . وما ذلك إلا لأن الكتاب الأول لم يكن فيه أي إثارة ، ولما جاء الكتاب الجديد بأفكار تغیرية أثارت حمية القوم ، وقامت قائمة الخائفين من عرض الإسلام بوجهه المشرق كبديل عن الأنظمة الأرضية ، التي لم تورث إلا الفساد والدمار والانحراف .

ودعونا نستعرض الخطوط العريضة لكتاب (الإسلام البديل) ونحكم القراء المسلمين بعامة وغيرهم بصفة خاصة . ثم لنتسائل هل لتلك الحملات الظالمة ضد الكتاب أدنى وجه من الحق أم أنها حملة صليبية ليس إلا؟؟

فالعناوين الرئيسية لفصول الكتاب الذي يقع في ٢٢٠ صفحة تتلخص فيما يلي :

\* الإسلام والغرب و (مفهوم الإيمان في الإسلام) والديانة المسيحية من وجهة النظر الإسلامية .  
الإسلام كدولة ووجهة نظر الإسلام في النظام الاقتصادي ، وحماية البيئة وحقوق الإنسان ، والجهاد والحقوق الدولية ، وفي الفصل الخاص بالمرأة والذي آثار الضجة تناول المؤلف المرأة في المجتمع الإسلامي مدعماً رأيه بالقرآن والحديث ، حيث بين مكانة المرأة المسلمة ودورها الكبير في المجتمع كأم ومربيه ومحور للحياة والمجتمع ، وناقش مسائل الزواج والطلاق وتعدد الزوجات والميراث

والحجاب ، وما أكدته الإسلام من العدل بين النساء وأحكام الطلاق كضرورة اجتماعية ، وشرح بموضوعية أحكام الإرث وشهادة المرأة ، وحذر المؤلف من أن يسيء الغربيون فهم أحكام الإسلام تلك لأنها لا تتناء مع واقعهم الذي ركز عليه انتقاده ، متسائلاً عن معنى إطلاق الحرية للإجهاض وقتل الجنين في رحم أمه وانتشار الإباحية والتعري المفضوح ، وأكده السفير في كتابه وجود الفروق الطبيعية بين الرجل والمرأة وأن الإباحية ستدمي المجتمعات الغربية .

هذا ما أثار حفيظة هؤلاء وما حرك ضغفنتهم بلا مبرر معقول ؛ فأين الحرية التي يدعون وأين الديمقراطية التي يزعمون ، لماذا تكون الحرية حينما يكون ذلك في حرب الإسلام وفي نقد قيمه ومثله ، أما حينما تكون في عقائدهم هم ومنطلقاتهم هم ودستيرهم هم فإنها تصادر ويدعى إلى استئصالها بل إلى خوض معارك صلبية ضد من يثير حولها التساؤلات..؟! لماذا لا يتاح المجال للفكر الحر النزيه أن يرى النور في مجتمعاتهم التي يسمونها بمجتمعات النور!...النور العنصري !

لماذا لا يتذكرون كل مفكر موضوعي أن يقول رأيه في وضح النهار ؟! إن ما قاله المسلم الألماني (عبد الله رودلف) هو الحقيقة وهو أنهم إنما جعلوا المرأة عنواناً للحملة ولكن المقصود هو الخوف من جعل الإسلام هو البديل لحضارتهم .

ويوم يترك للإسلام المجال في النور لا شك سيرى فيه الناس المثل الأعلى الذي يحل مشاكلهم ويستأصل أمراضهم وانحرافاتهم وهذا ما تتبأ به بعض عقائدهم .  
نعم إن حل مشاكل الدنيا يوم يكون للإسلام الحاكمة كاملة ، يوم يوقف أدعية الحرية محاولاتهم وأد الحرية المسؤولة خوفاً من البديل الذي يهزم بيوت العنكبوت التي يهتمون بها .

## مراجعات في عالم الكتب

### الحياة السياسية عند العرب

### دراسة مقارنة على ضوء الإسلام

تأليف : محمد حامد الناصر  
عرض : عثمان جمعة ضميرية

الدراسات الأدبية التي ت نحو منحى المقارنة على ضوء الإسلام قليلة أو نادرة ، وهذا الكتاب ، الذي فرغت من قراءته ، واحد منها ، يرصد مفهوم الجاهليـة كما وردت في الشعر الجاهلي ، ذلك الشعر الذي صور لنا حياة العرب قبل الإسلام ، في حروبهم وثوراتهم وعاداتهم وعقائدهم وخرافاتهم .

وهذا الكتاب هو الأول في دراسة مطولة تشمل الحياة السياسية والأخلاقية والاجتماعية والدينية في العصر الجاهلي ، فتكتمل الدراسة في أربعة أجزاء ، أولها عن الحياة السياسية وما فيها من حروب وثارات وصراعات بين القبائل ، وفيه كذلك دراسة موسعة عن العصبية القبلية وتطورها ، ثم ظهورها في العصور التالية ، على صورة شعوبية حيناً أو وطنية حيناً آخر .

ولئن وجدنا في المكتبة الأدبية والتاريخية المعاصرة كثيراً من الدراسات التي عنيت بجانب من تلك الجوانب السالفة ، فإننا لا نجد فيها هذه الموازنة والمقارنة بين مفهوم الجاهليـة كما تبـدت في الشعر الجاهلي الذي يعبر عنها أصدق تعبير وبين هـدي الإسلام الذي أنقـذ هذه الأمة من تلك الرواـسب

الجاهلية واستندت الفضائل التي كان يتصف بها "العرب قبل البعثة، ووجهها الوجهة البناءة ، وكانت - لولا الإسلام - مضيعة تحت ركام الرذائل!

والميزة الثانية لهذا الكتاب : أنه يرصد آثار الجاهلية كلما ظهرت في جانب من جوانب حياتنا المعاصرة، ويلاحظ أن وجه الشبه قوي بين المظاهر العامة، والمنطلقات في كل منها .

وقد اتخذ الكاتب من الشعر الجاهلي مصدراً للبحث في القسم الذي يبحث فيه عن الجاهلية ، فرجع إلى المصادر الموثوقة له ، مثل المفضليات والأصمعيات والمعلقات ، ودواوين الشعراء . ورسم الصورة المقابلة من المصادر الإسلامية ، فالقرآن الكريم ، وهي الله المنزل على نبيه - صلى الله عليه وسلم - وكتب السيرة والتاريخ الإسلامي ، فيها الغناء كل الغناء في هذا الجانب ، ولذلك كان التركيز عليها خلال المقارنة .

ويقع الكتاب في مقدمة وفصلين متتالين يسلم أولهما لثانيهما ، وفي المقدمة دراسة موجزة عن منزلة الشعر ومكانة الشعراء ثم بيان لمعنى الجاهلية .

أما الفصل الأول عن "الحياة السياسية عند العرب قبل البعثة المحمدية" ؛ فيه خمسة مباحث تصور حياة العرب قبل الإسلام ، وتدرس أسباب الحروب الجاهلية وأثرها على موضوعات الشعر، وتفرد مكاناً للثأر وأخر للأحلاف - وكلاهما موجز - ثم تفصل الحديث عن أيام العرب وحروبهم ، لتنتهي الدراسة ببعض النتائج واللاحظات عن المقومات الأساسية في الحياة العربية .

ثم يأتي معظم الكتاب بعد ذلك ، وهو الفصل الثاني : "الإسلام والجاهلية" ، وفيه دراسة موازنة تقع في خمسة مباحث ، تدرس التربية العقدية ودورها في اجتثاث مقومات الجاهلية ، والعصبية وموقف الإسلام منها ، وفي المبحث الثالث : وحدة الأمة بعد التفرق والتناحر ، ثم سيطرة العادات واتباع الأهواء ، وأخيراً يرفع رأية الجهاد في سبيل الله بدلاً من الحروب والثارات الجاهلية الدامية . وفي تضاعيف كل مبحث من هذه المباحث أفكار ينبغي الوقوف عندها ودراستها . وقد فعل ذلك ، لينتهي البحث إلى التحذير من عودة مظاهر الجاهلية في حياتنا الإسلامية ، ويرسم سبل الوقاية من ذلك ويحدد العلاج ووسائل التغيير .

وإلى أن تصدر سائر أجزاء هذه الدراسة الجديدة النافعة - إن شاء الله - ندعو للكاتب ونسائل الله أن يوفقه للمزيد من البحث النافع الجيد ، ليسد بذلك ثغرة في المكتبات الأدبية الإسلامية .

## الصفحة الأخيرة على قلوب أقفالها !!

عبد القادر حامد

كثير من العلمانيين من هو متخصص في علم الاجتماع ، ومن ليس متخصصاً به يدعى أنه قد اطلع على بعض قوانينه وشروطه . ولكن هؤلاء العلمانيين يتجاهلون عمداً - أو لأن الله طبع على قلوبهم - مبادئ هذا العلم ونظرياته عندما يسعون وراء سراب ما يسمونه "التغيير" في المجتمعات الإسلامية، في Mishon عكس تيار هذه المجتمعات، ضد قوانين نموها ، وينتشرون بنسمة تحدّ هو أشبه بالتحدي الذي يعترى الصبية عندما يخالفون من حولهم . لكنه يخلو من براءة تحدي الصبية لأنه ملوث بنزعة الاستظهار بالأجنبي وتسهيل الطريق له .

وشيء آخر يتميز به هؤلاء العلمانيون هو الإصرار على باطلهم بصلف قاتل ، واستغلال محطات نجاحهم وفشلهم في سبيل هذا الباطل ، ودفعه حتى يصبح شيئاً معروفاً لا ينكره الأسواء ، بل يدافعون عنه وينكرون على من ينكره !

إن لهؤلاء العلمانيين ظاهر وباطن - وكلا ظاهرهم وباطنهم خبيث - ظاهر دعوتهم الذي يدعون إليه ويحرقون حوله البخور هو: فصل الدين عن الدولة، ولكن هل يكتفون بهذا؟! إن باطنهم الذي يظهر على شكل اندفاعات كالبراكين المخترنـة التي تخرج في المناسبات : حقد على الإسلام : عقائده وأحكامه ، وقوف في وجه رسالة المسجد وتعطيلها ، دعوة إلى النقلـت من أي قيد إسلامي ، ضيق ذرع بكل رمز يميز ديننا وناسنا - نحن المسلمين - تبرـم حتى بالمؤسسات الإسلامية الرسمية التي استـوثيق منها بـألف قـيد وـقيـد ، وـحـمـلتـ ألفـ بـلـيةـ وـرـزـيـةـ .

إن باطن هؤلاء العلمانيين يغلي غلياناً ويقذف بحمـمـ الحـقـدـ والـاشـمـئـازـ من كل ما يـمـتـ إلىـ الإـسـلـامـ بـصـلـةـ، هل نـرـيدـ أـدـلـةـ عـلـىـ ذـلـكـ؟! لـنـلـقـ نـظـرـةـ عـجـلـىـ عـلـىـ أـعـمـدـةـ الصـحـفـ وـالـمـجـلـاتـ وـالـزـوـاـياـ المـتـخـصـصـةـ بـالـحـدـيـثـ عـنـ الـأـصـوـلـيـةـ وـالـتـطـرـفـ . إنـهـ مـرـايـاـ تـنـعـكـسـ عـلـيـهـ الـعـلـمـانـيـةـ فـيـ دـنـيـاـ الـعـرـبـ قـبـحـاـ وـاقـفـرـاءـ وـغـطـرـسـةـ وـإـرـهـابـاـ فـكـرـيـاـ، وـإـمـعـانـاـ فـيـ الـاسـتـهـانـةـ بـالـإـسـلـامـ كـدـيـنـ ، وـبـالـإـنـسـانـ كـإـنـسـانـ ..

---

تمت بعون الله ، والحمد لله رب العالمين

---